Telegram:@mbooks90

د. أيوب أبو دية

عمالقة الفكر الفلسفي

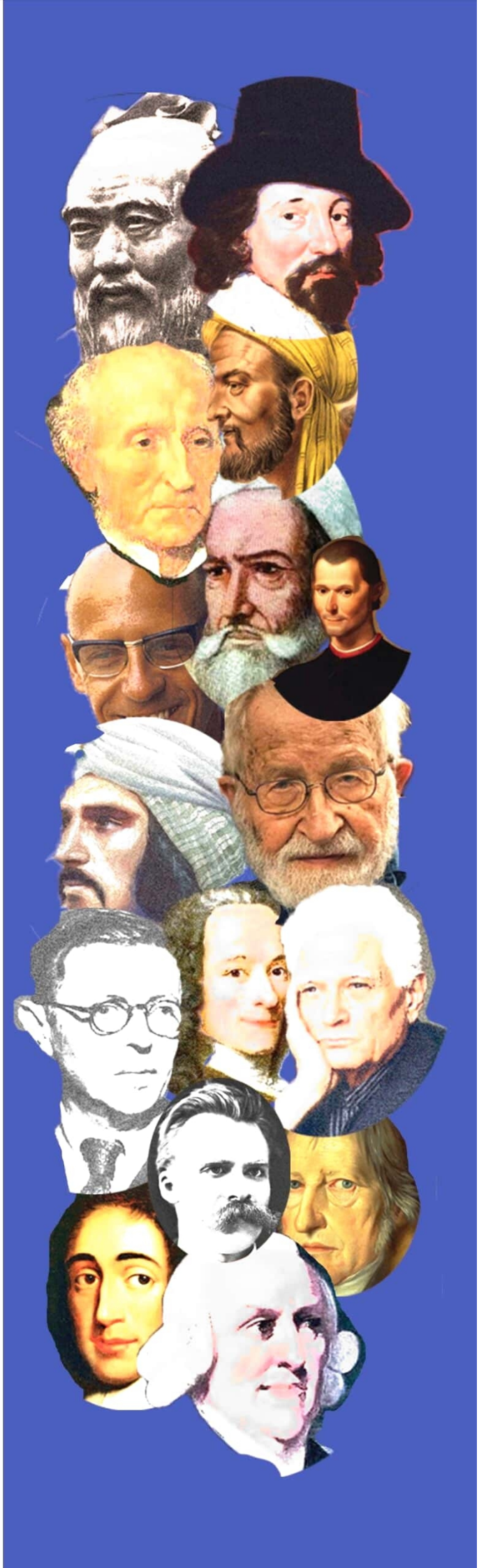

عمالقة الفكر الفلسفي

د. أيوب أبو دية

الطبعة الأولى 2024

© حقوق الطبع محفوظة بموجب عقد

الآن ناشرون وموزعون

المدير العام: د. باسم الزعبي

تصميم الغلاف: م. سجود العناسوة

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

ISBN: 978-9923-13-651-5

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2023 /7 /4111)

بيانات الفهرس الأولية للكتاب:

عنوان الكتاب	عمالقة الفكر الفلسفي
تأليف	أبو دية، أيوي عيسى أيوب
بيانات النشر	عمان: الآن ناشرون وموزعون، 2023
رقم التصنيف	101
الواصفات	الفلسفة الغربية/ / الفلسفة العربية/ / الفلاسفة/ / الفكر الفلسفي
الطبعة	الأولى

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

٢٧٠٥٨١٨٦٥٨

المقدّمة

انطلاقا من حاجة المكتبة العربية لمؤلف حول أهم أعمال الفلاسفة في العالم، وبشكل مختصر وغير مخل، بحيث يقدم الكتاب فكرة أولية عن انجازاتهم ومكانتهم في العالم ضمن تيارات الفلسفة المتنوعة، فقد ارتأيت أن انطلق من نهوض الفلسفة اليونانية التي عادة ما تبدأ بها كتب الفلسفة، ولكن مع إلقاء الضوء على الفلسفات القديمة المتمثلة في الزرداشتية والبوذية والكونفوشيوسية التي يتم إهمالها في الغالب لطابعها الديني المهيمن على أهميتها الفلسفية.

وقد ألهمني مساق الفلسفات العالمية الذي قمت بتدريسه في Kings Academy في الأردن لكتابة هذا الكتاب الذي يناقش أفكار معظم الفلاسفة الشهيرين الذين عرفهم العالم، ويقدم بعض الأسئلة الفلسفية التي طرحوها في تاريخ الفلسفة من منظور كلي ومحايد؛ المنظور الذي ينظر إلى الفلسفات العالمية في تنوعها، ولكن في إطار الترابط والنسبية البنيوية. إذ تعد كل فلسفة جديدة تتويجًا كميًا يؤدي إلى تغير نوعي في الفكر الإنساني السابق الذي ازدهر، كل في نطاقه الاجتماعي التاريخي والاقتصادي والسياسي، ورغم ذلك يعكس هذا التنوع قرابة روحية بين الحضارات جميعا.

وغالبًا ما يتساءل الناس عن ماهية الفلسفة، وما الأسئلة التي تعتبر أسئلة فلسفية، وكيف تطورت الفلسفة عبر آلاف السنين، وما الجديد الذي تَفلسفه مختلف الفلاسفة، وما الاختلافات المعرفية أو أوجه التشابه بين أفكار الفلاسفة؟

فالغرض من هذا الكتاب هو الوصول إلى الطلبة والمعلمين والمثقفين العاديين الذين يسعون لمعرفة الاجابات عن هذه التساؤلات وغيرها، مثل: مَن نحن؟ كيف نفكر؟ هل هناك هدف في الحياة؟ من أين تأتي

معتقداتنا الأخلاقية؟ ماهي طبيعة الواقع؟ ما هو جوهر الوجود أو جوهر الكون النهائي؟ هل الله موجود؟ ما هو العقل؟ هل لدينا إرادة حرة؟ ما هي المعرفة؟ ما هو الفرق بين المعرفة والاعتقاد؟ كيف نكتسب المعرفة؟ هل يمكننا الوثوق بحواسنا؟ ما هي طبيعة الحقيقة؟ هل يمكننا معرفة أي شيء على وجه اليقين؟ ما هو أساس الأحكام الأخلاقية؟ هل هناك قيم أخلاقية موضوعية؟ ما هي طبيعة الخير والشر؟ كيف يجب أن نعيش حياتنا؟ ما هو معنى الحياة؟ ما هو الوعي؟ كيف يرتبط العقل بالجسد؟ ما هي طبيعة الإدراك والفكر والتجربة الذاتية؟ ما هي طبيعة المعرفة العلمية؟ ما هي الطريقة العلمية في البحث؟ هل يمكن للعلم توفير فهم كامل للواقع؟ كيف تشكل اللغة تصورنا للعالم؟ ما هي طبيعة التجربة الدينية؟ هل يمكن التوفيق بين العقل والإيمان؟ ما هو الجمال؟ ما هو الفن؟ ما هي طبيعة التجربة الجمالية وعلائقها بالواقع؟ هل يمكن أن تكون الأحكام الجمالية موضوعية؟ ما هو الشكل المثالي للحكومة؟ ما هي مبادئ العدل والمساواة؟ ما هي طبيعة الحقوق الإنسانية والحرية؟

للإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها في سياق تطورها التاريخي جاء ترتيب الفلاسفة ترتيبا تاريخيا، حيث أخذنا أمثلة من الفلسفات القديمة كالكونفوشيوسية والبوذية والزردشتية، ومن فلاسفة الاغريق: سقراط، أفلاطون، أرسطو، ثم انتقلنا إلى الفلسفة الرومانية والكنسية: شيشرون، ماركوس أوريليوس، القديس أوغسطين، توما الأكويني، حتى وصلنا إلى الفلسفة العربية الاسلامية كما عبّر عنها الكندي والرازي والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون، والتي غالبا ما يتم اجتنابها في كتب الفلسفة الغربية، إلا ما ندر.

ومن فلسفة القرن السادس عشر الاوروبية اخترنا فلسفة ميكيافيللي ومونتان وفرنسيس بيكون بوصفها ممثلة لعصر النهضة الاوروبية، ثم انتقلنا إلى فلسفة القرن السابع عشر، وهي بدايات الفلسفة الحديثة:

ديكارت، توماس هوبز، جون لوك. وفلاسفة القرن الثامن عشر: ليبنتز، سبينوزا، باركلي، مونتسكيو، هيوم، فولتير، روسو، آدم سميث. وفلاسفة القرن التاسع عشر: كانط، هيجل، جيريمي بنثام، كيركيجارد، شوبنهور، جون ستيوارت مل، ماركس، إنجلز، نيتشه. ثم فلسفة القرن العشرين وفلسفة ما بعد الحداثة: وليام جيمس، هوسرل، جون ديوي، فتجنشتين، جون رولس، جادامر، جاك دريدا، نعوم تشومسكي وغيرهم.

من خلال هذا الكتاب، ننطلق في رحلة رائعة عبر نسيج الفلسفة الغني الممتد لآلاف السنين والعابر للحضارات؛ من الفلسفات الآسيوية القديمة إلى أساتذة عصر النهضة، فالفلاسفة المعاصرين الذين شكلوا فهمنا للعالم، وصولاً إلى المدارس الفكرية المعاصرة التي تتحدى الحكمة التقليدية.

هذا الكتاب دليل للباحثين عن الحقيقة، ويتناول الأسئلة الأساسية حول الوجود والوعي والأخلاق وطبيعة الواقع والخير والجمال، ويوفر استكشافًا شاملاً للتجربة الإنسانية، حيث نكشف ألغاز الفلسفة ونعمق فهمنا للعالم ولأنفسنا.

وأنا ممتن للغاية لطلبة الفلسفة الاستثنائيين في الأكاديمية الملكية Kings Academy لمساهماتهم القيمة في تعزيز فهمي للفلسفة. لقد أثرت أسئلتهم المبتكرة ووجهات نظرهم الفريدة حقًا في رحلتي في مجال تأليف هذ الكتاب. وأود أيضًا أن أتقدم بخالص شكري إلى الذكاء الاصطناعي ChatGPTلدعمه الثابت وإرشاداته الثاقبة طوال فترة تأليف هذا الكتاب.

ختاما، إذ نأمل أن نكون قد نجحنا في إلقاء الضوء بشكل مختصر على أعمال الفلاسفة المذكورين باختيار جنبات من المناحي المعرفية والوجودية والأخلاقية والسياسية التي اشتهروا بها، علما بأن هناك

فلاسفة آخرين يستحقون أن يكونوا ضمن هذا العمل ولكن حجم المؤلف الرشيق لم يتسع لهم، فمعذرة، وعلما بأن أي خطأ أو تقصير في هذا الكتاب يقع على عاتق المؤلف وحده دون غيره.

أيوب أبودية، عمّان- تموز 2023

زرادشت Zaroaster

(628 – 551 ق. م)

كانت ديانة بلاد فارس القديمة تتمحور حول عبادة الأرواح التي كان يُظن أنها تعيش في الأشياء الطبيعية، كالشجر والأنهار والقمر وغيرها. وقد ازدهرت هذه المعتقدات القديمة لفترة طويلة من الزمن، ولكن ما لبثت أن اختفت عند ظهور رجل معين بات يدعى: زرادشت.. لم يكن شخصا عاديا، إذ أعلن تاريخ الزردشتية عن أن ولادة زرادشت كانت نتيجة حمل طاهر (حبل بلا دنس) على نحو ولادة السيد المسيح من مريم العذراء، وحورس ابن الإله أيزيس، وكريشنا في الهندوسية. وكان يُعتقد أن زرادشت يجمع بين ثالوث «المجد» و«الروح الحارس» و«الجسد المادي»، وهي فكرة شبيهة بالثالوث المقدس في المسيحية، اضافة إلى أنه كان معروفا بكونه مسؤولاً عن المعجزات، بما في ذلك تلك التي حدثت حتى عندما كان لا يزال في بطن أمه. تشابه مذهل مع الثالوث في المسيحية ومعجزات المسيح وموسى ومحمد وساي بابا Sai Baba في الهند وغيرهم.

الدين مرتبط بأسلوب الحياة، إذ يسعى الإنسان من خلاله إلى تنظيم علاقاته الاجتماعية لتتوافق مع بيئته، لذلك تختلف الأديان اختلافًا كبيرًا وفقًا لتنوع الثقافات والمناخات في العالم. فعلى هضبة إيران شديدة الانحدار، أرض للصراع الدائم والنضال الدؤوب ضد الرياح العاتية والطقس البارد والبرية القاسية، فلا بد لهذا الدين الذي تصوره زرادشت، أن يكون شرسًا وقاسيا ليعكس أحوال تلك الظروف البيئية، كما رأى لويس براون في كتابه: عالم الاعتقاد. وبناءً على ذلك كان الكون كله ساحة معركة عظيمة يتصارع فيها الخير والشر من أجل السيادة والهيمنة.

أحد أطراف ذلك الصراع كان أهورا مازدا، الاله أو الروح الحكيمة، إله الخير والضوء الذي يخوض معارك مستمرة مع أهريمان، وهي القوة المدمرة المرتبطة بالموت والمرض والفوضى والفساد (النظام الطبيعي)، إنه شيطان الأكاذيب، مدعومًا من قبل معظم الآلهة القديمة التي هيمنت على الإيمان الشعبي. وفي منتصف الطريق بين هذين القوتين المتعارضتين والمتصارعتين، وقف زرداشت ليختار الجانب الذي يقاتل معه: فإما إله الخير والطهارة والنور والعدل، أو إله الشر والظلام.

أهورا مازدا كان إله العدل ولكنه لم يكن على الاطلاق إلهاً رحيماً. حتى الحيوانات النافعة، مثل تلك التي تقضي على القوارض والثعابين والمخلوقات الشريرة الأخرى، كانت تعد مقدسة وتستحق المساعدة. وهكذا ارتبطت حياة جميع الحيوانات الأليفة بالقداسة، وخاصة الأبقار والكلاب والقطط والأغنام. كان الاعتناء بها هو أسمى أفعال الإيمان. بشّر نبي إيران القديم بآلية للتغلب على شرور الكون وإدانة الآلهة القديمة، فأبدع طقوسا وثنية متمثلة في تقديس النار. لكنه أوضح أن التقدمة على مذبح النار ليست الطريقة الوحيدة للعبادة، لأن النهج الأساسي هو الكدح والعمل المنتج اليومي، حيث قال: «من يزرع الذرة يزرع الدين».

لم تكن الصلاة، بل العمل المفيد والمنتج هو الأمر الذي كان مطلوبًا من عبدة أهورا مازدا. كان أنبل شيء يمكن أن يفعلوه هو تكريس أنفسهم لمهمة عملية ذات فائدة، مثل ري بقعة جافة من الصحراء، أو بناء جسر فوق نهر. كان أهورا مازدا في جوهره روح الحضارة والتقدم، وكانت العبادة الوحيدة التي يقبلها هي نشر النظام والاستقرار ولكن دون إظهار الرحمة للعدو، سواء كان هذا العدو بعض الأعشاب أو الوحوش أو البشر المتوحشين.

وبالمقابل، كان الكسل عند زرادشت جزءًا من عمل الشيطان. فكل صباح يهمس شيطان الكسل في أذن الإنسان قائلا: «نم أيها الفقير فلم

يحن وقت العمل بعد». ولكن، أعلن زرادشت أنه وحده من يقوم من النوم أولاً مع بزوغ كل فجر جديد، هو من سوف يكون أول من يدخل الجنة، جنة النعيم الأبدي. فلم يترك زرادشت مجالًا للشك في وجود جنة بالفعل، وأن هناك أيضًا جحيم. وكان على ثقة أن الأتباع الحقيقيين لأهورا مازدا سيدخلون الجنة بكل تأكيد.

أخيرًا، وفي نهاية الزمان، سوف ينخرط العالمان، عالم الخير وعالم الشر، في صراع رهيب. وسوف تنتهي الحرب الطويلة بين الخير والشر في «نهاية الأيام». وعندها، ولمدة موسم كامل، سوف يغطي الظلام الكثيف وجه الأرض، وسوف يهتز الكون كله اهتزازا عظيما. وهذه هي فكرة آرمجدون الشهيرة في الكتاب المقدس، وقبلها ما جاء في حضارة ما بين النهرين: الصراع بين مردوك Marduk وتيامات Tiamat، وفي الهندوسية تقابل هذه الفكرة التجسد الأخير للاله فشنو Vishnu.

ولكن، في نهاية الأمر، يهدأ الغضب الجامح والمستعر، وسوف يخرج أهورا مازدا منتصرا. ثم تذوب التلال والجبال كلها وتنهار لتسقط على الأرض، وعندها يتعين على جميع الناس المرور فوق الحمم والمواد المنصهرة. أما بالنسبة إلى الصالحين منهم فسوف تكون تلك الحمم كاللبن الدافئ، فيما يحترق الأشرار فقط. وبعد ذلك تصبح الأرض جنة أبدية، لا جبال فيها، ولا صحارى، ولا حيوانات مفترسة، ولا متوحشون، وتبقى كذلك إلى أبد الدهور.

وكحال الديانات الأخرى، تغيرت تعاليم زرادشت بمرور الوقت على يد من جاء بعده من الكهنة. فعندما قال «كن نقيًا» فانه كان يقصد أن نكون أنقياء في عمل الخير والاستقامة في العمل، ولكنهم تخيلوا أنه يقصد أن يكون الانسان طاهرًا طقسيًا وأن يغتسل بالماء. فصار ممنوعا أداء أي طقس ديني ما لم يكن الكاهن قد «طهر» نفسه أولاً، كما لو كان يقبع في «نجاسة» حقيقية. واعتقدوا أن بول البقر من أقوى «المطهرات»، فكان

على الراغبين في التطهر أن يمسحوا أنفسهم بهذه المادة ست مرات في اليوم، ولمدة تسعة أيام. اضطروا إلى التغسل بالبول من أعلى الرأس إلى أخمص القدمين، حتى يتم طرد الشيطان «النجس». وكانت نقطة خروج الشيطان دائمًا هي من الإصبع الكبير للقدم اليسرى، وعندما يُطرد الشيطان يرحل إلى شمالي إيران حيث تعيش جميع الشياطين.

فما حدث في الديانات اليانية Jainism والبوذية والتاوية حدث أيضًا في الزرادشتية. فوراء كل نبي جاء كهنة وفقهاء حاولوا «تنظيم» و«تأويل» الحقيقة التي قالها سيدهم على طريقتهم الخاصة، وبما يناسب مصالحهم ومصالح السلطة التي كانوا يعملون في خدمتها. وعلى الرغم من فشل الكهنة في الحفاظ على إنجيل زرادشت، إلا أنهم أنهم أجادوا الحفاظ على مصالحهم، فجعلوا أنفسهم مانحين للخلاص الأزلي، ونظموا أنفسهم على نحو تراتبي، فأقاموا البابوية على الأرض. وكان يطلق على هذه الطبقة: المجوس.

وعلى مدى قرنين من الزمان، كافحت الزرادشتية في مواجهة المسيحية كي تكون دين الإمبراطورية الرومانية. ولكنها عندما هُزِمَت أخيرًا، حلت محلها المانوية، وهي ديانة تأسست في القرن الثالث بعد الميلاد على يد مدعي النبوة، ماني Mani، الذي صلبه المجوس باعتباره هرطيقًا. جمعت المانوية عناصر من مختلف التقاليد الدينية، بما في ذلك الزرادشتية والمسيحية والغنوصية. وادعى ماني أنه آخر نبي أُرسل لجلب المعرفة الحقيقية للتنوير الروحي للبشرية.

لقد طورت الزرادشتية أفكارًا رائعة جدًا عن يوم القيامة، ولكن عندما سئم أتباعها من انتظار «نهاية الأيام» التي تنبأ بها زرادشت، بدأوا يؤمنون بمحاكمة خاصة لكل منهم، وهو يوم مروع من المحاكمة يحين فور وفاة الانسان. كان يُعتقد أن روح كل ميت يتم نقلها إلى جسر مصيري، ثم تؤمر بالسير إلى الأمام، فإذا كانت روح إنسان صالح،

يصبح الجسر عريضا وتذهب الروح مباشرة إلى الجنة. ولكن، إذا كانت روح شخص شرير، فإن الجسر يصبح ضيقًا جدا كحد السيف، فتقع روح المذنب في جحيم أهريمان لتتذوق أمر العذاب. ومن الممكن أيضاً أن يكون اليهود قد تعلموا منهم أن يؤمنوا بالجنة والنار ويوم القيامة والثواب والعقاب.

وهكذا، نمت التصورات بشأن هذه القضايا الإشكالية، التي ترعرعت منذ البداية في حضن الحضارتين الفرعونية وبلاد ما بين النهرين، في جنبات الهضبة الايرانية. ورغم أعداد أصحاب المذهب الزردشتي المحدودة الباقية اليوم في إيران والهند فقد سيطرت الصورة الزرادشتية لـ«نهاية العالم» والجنة والنار والثواب والعقاب على الفكر الكوني بأكمله، وكان تأثيرها مهمًا على التفكير اليهودي بشكل خاص، والذي انتقل بدوره إلى المسيحية والاسلام. وبفضل هذا التأثير الواسع الانتشار لأفكارها، يمكن تسمية الزرادشتية اليوم بالديانة والفلسفة العالميتين، وإن كانت أقرب إلى الديانة من الفلسفة لأن الديانة تركز على الإيمان، والاعتقاد والممارسات المنظمة، بينما تستكشف الفلسفة المعارف والأحكام العقلية بتفكير نقدي حول الأسئلة الأساسية للوجود والأخلاق وطبيعة المعرفة.

The Buddha بوذا

(560 – 480 ق. م)

ولد سيدهارتا غوتاما بوذا في القرن الخامس قبل الميلاد في شمالي الهند. كان يُدعى «بوذا»، أي «المستنير»، وذلك بعد أن مارس فهماً عميقاً لطبيعة الحياة عبر تجاربه وممارسته الحياتية المميزة. عاش بوذا في شبابه حياة مريحة رغدة في قصر والده، ولكن بمجرد أن غادر جدران قصره اكتشف بؤس الحياة المتمثل في الشيخوخة والمرض والفقر والجوع والموت. لذلك بدأ في البحث عن طريقة للتغلب على هذا البؤس والشقاء من خلال التأمل للوصول إلى مرحلة الاستنارة بحثا عن الحقيقة. فماذا كانت اقتراحاته للوصول إلى مرحلة التنوير ومعرفة الحقيقة؟

لم يعلّم بوذا الناس ما اختبره شخصيا كي يصبح مستنيراً. بدلاً من ذلك، علمهم كيفية تحقيق التنوير بأنفسهم وعبر تجاربهم الخاصة. لقد علمهم أن الصحوة تأتي من خلال التجربة الشخصية للفرد، وبالتأكيد ليس من خلال المعتقدات التقليدية. واعتقد أن الأسئلة الفلسفية التقليدية حول طبيعة الكون والانسان لا تقود إلى أي نتيجة، لكنه عد الوصول إلى مرحلة التنوير ضرورة لإنهاء دورة تكرار الولادة التي تستمر إلى ما لا نهاية (التناسخ)، وبالتالي فإنه ينبغي إيقاف المعاناة التي يمر بها الانسان عبر مسار روحي يتضمن تدريبًا أخلاقيًا وعقليًا محددًا، مثل الإيمان بفكرة الكارما Karma، حيث تجني ممارسة الحسنات نتائج طيبة ومكافآت في الحياة الدنيا لمن يفعلها، والعكس صحيح مع السيئات. وهذه فكرة تتجاوز الثواب والعقاب في الآخرة عبر الجنة والنار كما تقدمها الأديان التوحيدية مثلا.

كان بوذا يعتقد أن الحقائق النبيلة هي: أولاً: الحياة من دون استنارة

هي حياة مليئة بالألم والتعاسة، وثانيًا: يمكن أن يساهم التأمل والتجربة الشخصية المباشرة في فهم حقيقة التنوير، لذلك حث الناس على الاعتماد على تجاربهم الشخصية وعدم قبول نتائج تجارب بوذا الشخصية أو غيرها، ثالثًا: التحرر من دورة الحياة المستمرة (التناسخ) التي تتطلب كبح جماح مشاعر الرغبة الشديدة في اقتناء الأشياء الدنيوية، ورفض كل ما من شأنه أن يسبب الألم والتعاسة للآخرين، رابعًا: لمحاكاة طريقة بوذا في تحقيق التنوير، فإنه يستلزم التدريب على ممارسة الحكمة والأخلاق الحميدة والعقلانية الحقيقية والتركيز عليها. فالمسألة هنا ليست فقط «الإيمان» بالتعاليم، ولكن فهمها واختبارها في مقابل التجربة الشخصية للفرد. إذ وعظ بوذا أنه يمكن تحقيق التنوير دون الإيمان بأي آلهة، لأن هذا الاعتقاد ليس مفيدًا للوصول إلى مرحلة التنوير - الحقيقة. وليس هناك أدنى شك أن هذه الخطوات التنويرية سوف يكون لها تأثيرا مهما لاحقًا، على سبيل المثال، في فلسفة هيوم وكانط وشوبنهاور وفلاسفة أوروبيين آخرين. فمثلا، قام شوبنهور بدمج المفاهيم البوذية في صميم فلسفته، مثل المعاناة والرغبة والطبيعة الخادعة للعالم. ورأى شوبنهاور البوذية كمصدر للحكمة التي وفرت بديلاً للتأكيد الغربي على الفردية والسعي وراء الرغبات والمطامع الشخصية.

يعتقد البوذيون أن الأفعال التي يقومون بها اليوم سوف تؤثر على سعادتهم في المستقبل. ويُطلق على هذا المبدأ اسم الكارما، وهو يحرض البوذيين على أن يكونوا مسالمين ومحترمين ولطيفين وأن يظهروا التعاطف مع جميع الأشخاص الذين يعانون في هذه الحياة. وهذا الموقف اللطيف والايثاري يساعدهم على التغلب على السموم الثلاثة، وهي: الجهل والجشع والكراهية. وفيما يلي المبادئ الأخلاقية الخمسة التي يتبعها البوذيون لعيش حياة أخلاقية جيدة والتي من شأنها التغلب على السموم الثلاثة:

أولا: أن يمتنع عن قتل الأرواح، أي قتل أي كائن حي، وثانيا: الامتناع عن أخذ ما لا يُعطى بحرية، أي السرقة، وثالثا: الامتناع عن إساءة استعمال الحواس أو سوء السلوك الجنسي، أي الإفراط في ممارسة الجنس أو ارتكاب جرائم جنسية، ورابعا: الامتناع عن الكذب أو النميمة، وخامسا: الامتناع عن المسكرات التي تُذهب العقل، كالمخدرات والكحول وما إليهما.

هذه التعاليم هي قاعدة أخلاقية ذهبية تشترك فيها جميع الديانات المعروفة، والتي تعكس طبيعة الأخلاق التي تولد وتترعرع في مجتمع متطور يتمتع بعلاقات اجتماعية ناضجة ومترابطة. ولكن تلك القواعد المثالية لم تمنع من وجود عنف وكراهية مارسها البوذيون عبر تاريخ البشرية، فبينما ترتبط البوذية عمومًا بتعاليم السلام والرحمة واللاعنف، فقد شارك بوذيون في أعمال عنف ضد أشخاص من عقائد أخرى، كما فعلوا في ميانمار (بورما سابقًا)، فكانت هناك تقارير عن أعمال عنف ضد أقلية الروهينجا المسلمة، حيث أسفرت الحملة العسكرية عام 2017 عن انتهاكات واسعة النطاق لحقوق الإنسان، بما في ذلك القتل والعنف الجنسي والتهجير. وكذلك في سريلانكا التي شهدت حربًا أهلية عنيفة طويلة الأمد بين القوات الحكومية، المكونة في الغالب من البوذيين السنهاليين، ونمور تحرير تاميل إيلام (LTTE)، وهي مجموعة انفصالية تتكون في الغالب من الهندوس. وأيضا تكرر ذلك في اليابان حيث كانت هناك حالات شارك فيها الرهبان البوذيون في نزاعات مسلحة.

خلاصة القول إن البوذيين لا يؤمنون بإله؛ لذلك فإن المبادئ الخمسة السابقة هي مجرد أفعال مقترحة في العلاقات الإنسانية وليست وصايا إلهية. اذ يختار البوذيون بحرية تامة التصرف بطريقة أخلاقية جيدة بهدف تحقيق التنوير. إن الهدف من سعي البوذيين إلى أن يكون كل عمل من أعمالهم عملا جيدًا وأخلاقيا، وذلك بهدف كسر حلقة السامسارا

Samsara (التناسخ)، أي تكرار الولادة في شكل أعلى وأرقى بصورة مستمرة. وبالمقابل، فإن الأفعال الشريرة سوف يتبعها الألم والمعاناة، وعندها سوف تستمر دورة السامسارا في أسوأ أحوالها. أي أن الثواب والعقاب يتحقق على الأرض ولا ينتظر حتى آخر الزمان.

كونفوشيوس Confucius

(551 – 479 ق. م)

اعتقد الصينيون القدماء بقوة ما مصدرها السماء، كما عبدوا أرواح قوى الطبيعة، وأرواح أجدادهم، ولكنهم لم يطلبوا الخلاص لأرواح أجدادهم عبر الصلاة، إذ اعتقدوا أن في ذلك إهانة لقدرة أجدادهم على تدبر أمورهم وحدهم، ولكنهم صلوا للموتى كي يتقربوا منهم. هكذا كان الحال عليه قبل مجيء «كونغ كيو» Kong Qiu الملقب كونفوشيوس. وعندما جاء كونفوشيوس في منتصف الألفية الأولى قبل الميلاد، متزامناً مع بوذا في الهند وزرادشت في إيران، جمع تراث الصين من العبادات وحض الشعب على العودة إليها والالتزام بقيودها وشرائعها الأخلاقية. أي أنه كان سلفيا بهذا المعنى.

وبذلك يكون كونفوشيوس قد مأسس ديانة الصينيين القديمة وشعائرها وجمعها في كتاب وحث على ممارستها، في حين لم يكن يجيب طلبته عن أسئلة، مثل: كيف نعتني بالأرواح ونخدمها؟ فكان يرد كونفوشيوس عليهم أنه «طالما لا تستطيع خدمة الآخرين، فكيف سوف تستطيع خدمة الأرواح؟» وعندما سؤل عن ماهية الحياة بعد الموت، قال: «طالما أنك لا تعرف ما هي الحياة، فكيف تستطيع معرفة ما بعد الحياة؟».

دعا كونفوشيوس إلى ممارسة الفضائل، مثل: الحكمة، والمعرفة الذاتية، والشجاعة، وتفهم الآخر، إلى جانب الإحسان، ورأى كذلك أنها ينبغي أن تكون فضائل عالمية يمارسها الجميع بحيث تحقق نظاماً أخلاقياً عالميا مثالياً في المجتمعات جميعا، وذلك لنشدان السعادة. ودونك بعض المعالم الرئيسة في فلسفة كونفوشيوس:

Ren (الإنسانية أو الخير): وهو المفهوم المركزي في الكونفوشيوسية والذي يشير إلى صفة التعاطف والطيبة والخير تجاه الآخرين. أكد كونفوشيوس على تنمية الشخصية الأخلاقية وأهمية معاملة الآخرين بالتعاطف والاحترام والمحبة.

Li (الطقوس واللباقة): يشمل Li السلوك السليم والطقوس وآداب السلوك التي يجب مراعاتها في السياقات الاجتماعية المختلفة. إذ اعتقد كونفوشيوس أن مراقبة الطقوس المناسبة والتصرف الملائم وفقًا للأعراف الاجتماعية يساعد في الحفاظ على النظام الاجتماعي والوئام والاستقرار.

Junzi (الشخص النبيل): أكد كونفوشيوس على أهمية تنمية الذات والتطور الأخلاقي الشخصي ليصبح الانسان شخصًا نبيلًا تتمثل فيه صفات مثل النزاهة والعدل والحكمة والتواضع. واعتقد كونفوشيوس أنه من خلال تحسين صفات الذات، يمكن للمرء أن يساهم بشكل إيجابي في المجتمع.

Xiao (تقوى الوالدين): تشير تقوى الوالدين إلى الاحترام والطاعة والرعاية التي يدين بها الأفراد لوالديهم وأجدادهم. اعتبر كونفوشيوس أن تقوى الأبناء هي أساس الانسجام الاجتماعي والسلامة الأخلاقية، كما أعرب عن اعتقاده أنه من خلال الوفاء بمسؤولياتهم الأسرية، يساهم الأفراد في رفاهية الأسرة والمجتمع.

Zhong (الولاء): أكد كونفوشيوس على أهمية الولاء في العلاقات، حيث ينبغي أن يكون الأفراد مخلصين لحكامهم، وأن الحكام يجب أن يكونوا فاضلين وخيرين تجاه شعوبهم. يمتد الولاء أيضًا إلى الصداقة والعلاقات الشخصية، حيث يجب تقدير الثقة والصدق والمحبة بين الأصدقاء.

التعليم وتنمية الذات: كان كونفوشيوس يؤمن بالقوة التحويلية للتعليم والسعي الدائم للمعرفة. وشدد على أهمية تنمية الذات من خلال التعلم والتفكر والممارسة الأخلاقية. فنظر إلى التعليم بوصفه وسيلة لتطوير شخصية الفرد، وتعزيز السلوك الأخلاقي، والمساهمة في تحسين المجتمع.

ومن المهم ملاحظة أن هذه الموضوعات الأخلاقية في المعاملات مترابطة وتشكل نظامًا فكريًا شاملاً. إذ هدف كونفوشيوس إلى تعزيز الانسجام والتميز الأخلاقي في المجتمع من خلال تنمية الأفراد الفاضلين ومراعاة المبادئ الأخلاقية. فكان لتعاليمه التأثير العميق على مختلف جوانب المجتمع الصيني، بما في ذلك السياسة والأسرة والتعليم والعلاقات الشخصية.

لم يدّعِ كونفوشيوس بأي ألوهية أو صفات خاصة كما ادعى الأنبياء، ولكن تلاميذه رفعوا من شأنه كثيراً وجعلوا منه في مصاف الإله، حيث تم رسميا رسمه كذلك في عام 1907 من قبل الدولة. ومن سخرية القدر أن رجلاً مثله لم يرَ في حياته أي فائدة من الآلهة أصبح الناس يتطلعون إليه كإله، وأنه رغم تعرضه للجوع في صغره أصبحت تذبح له القرابين اليوم وتُخصص له مئات المعابد المنتشرة في طول الصين وعرضها.

نهوض الفلسفة اليونانية

يربط تاريخ الفلسفة بدايات التفلسف المنظم المعروف بحضارة الإغريق، علماً بأن حضارات سابقة على الإغريق تفلسفت في سياق صعودها التاريخي، كما هي الحال في مصر وحضارات ما بين النهرين في العراق القديم، كالحضارتين السومرية والبابلية، والإمبراطوريات الفارسية والهندية والصينية وغيرهم. ولكن، يرى برتراند راسل في كتابه «تاريخ الفلسفة الغربية» أن الإغريق تميّزوا بالإبداع العقلي النظري واختراع الرياضيات، رغم أن الحضارات القديمة عرفت الحساب والرياضيات كقواعد عملية عامة، بينما اشتق الإغريق استدلالات عقلية من مقدمات بسيطة صادقة، ويُعد ذلك اختراعاً إغريقياً متميزاً.

ربما بدأت الفلسفة بدلالاتها المعاصرة مع طاليس Thales (– 620 540 ق. م) الذي تنبأ بحدوث كسوف للشمس عام 585 قبل الميلاد، وأفاد بتكرار كسوف الشمس مرة كل 18 عاماً و11 يوماً، وشرع في التساؤل الفلسفي لأول مرة في تاريخ البشرية بالسؤال عن أصل العالم؟ ومن ماذا تتكون المادة؟ وكانت تلك أسئلة في الظواهر الطبيعية بعيدة عن التفسيرات الأسطورية واللاهوتية، فقد افترض أن أصل كل شيء في الطبيعة هو الماء، وأن الأرض تعوم على بحر عظيم من الماء.

سمحت البيئة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لطاليس بهذه التساؤلات، فقد عاش في نظام سياسي سمح بالحرية لبعض المواطنين، وخاصة في مدينة ملطية Miletus المزدهرة بالتجارة والمستقرة سياسيا على شواطىء بحر إيجه الآسيوية. وقد أطلق على المادية الأيونية لقب «المادية العفوية» لتمييزهَا عن المادية الميكانيكية التي ظهرت في القرن السابع عشر، ولتمييزها كذلك عن المادية الجدلية للقرن التاسع عشر التي بدأت مع الفيلسوف الألماني هيجل Hegel واستمرت

مع ماركس.

ومن أعلام تلك الفترة أنكسمندر Anaximander (546 – 610 ق.م) الذي قال بنظرية أصل الأحياء وأنها جاءت من البحار، على نحو شبيه بنظرية التطور المعاصرة. وكذلك أنكسمانس Anaximanes (–586 526 ق. م) الذي قال بنظريته في أن الأرض منبسطة وتعوم في الهواء كورقة شجر، وأن المادة الأولى متحركة ذاتياً. كذلك صرّح بوجود عوالم لامتناهية، وافترض أن الأرض أسطوانة معلقة في الفضاء؛ وهو تفكير متطور في ذلك العصر بأن يتخيل الانسان الأرض معلقة بحرية في الفضاء من دون ركائز.

أمّا ديمقريطس Democritus (370 – 460 ق. م) فاعتقد بأن المادة تتكون من ذرات متناهية في الصغر، لامتناهية في العدد، وخالدة، وفي حركة دائمة؛ وأن حركة الذرات لا بداية لها، فالمادة متحركة بذاتها ولا تستدعي أي مُحرك من خارجها. وفي الأخلاق شدد ديمقريطس على ضرورة أن يكون الإنسان بشوشاً وسعيداً تعبيرا عن النفس المطمأنة التي تعيش في سلام مع نفسها ومع العالم، ولا تتأثر بالخوف من الخرافات والأساطير وغيرها. هذا، وسوف يعيد الفلاسفة الأوروبيون إحياء ديمقريطس في العصور الحديثة، وخاصة في المجال الذري.

سقراط Socrates

(470 – 399 ق. م)

على الرغم من أنه لم يصلنا شيء من كتابات سقراط، فقد ترك بصمة واضحة على رؤيتنا للفلسفة في المعرفة والأخلاق، وقد وصلتنا كتابات عنه من طلبته، ومنهم أفلاطون في حواراته. ومن تعاليم سقراط الفلسفية أن حكمة الإنسان تبدأ من اعتراف الإنسان بجهله، وأن الحياة التي لا يتساءَل عنها الإنسان لا تستحق أن تُعاش، وأن الفضيلة الأخلاقية هي من أهم الأمور في الحياة، إلى جانب أهم إنتاج سقراط في الإجابة عن التساؤل الأخلاقي: كيف ينبغي أن نعيش؟

وتأتي تساؤلات سقراط حول مفاهيم مثل: ما هي الفضيلة؟ وما هي العدالة؟ وما هي الشجاعة؟ وما هي المساواة؟ ونسوق مثالاً على الحوار السقراطي الذي يستدرج الشخص الآخر إلى الإجابة عن السؤال بنفسه، فمثلاً حول مفهوم المساواة، يأتي الحوار السقراطي كما هو آت:-

سقراط: ما هي المساواة؟

طالب: المساواة هي إعطاء كل فرد حقه وتسهيل حصوله على الفرص نفسها، وذلك بغض النظر من هو.

سقراط: ولكن ماذا بشأن حقيقة أن بعض الناس موهوبون أكثر من غيرهم، فهل من العدالة تقديم الفرص ذاتها لهم؟

طالب: لا، اعتقد أن ذلك لن يكون عادلاً.

سقراط: إذن، هل ما زلت تعتقد أنه مهَما كانت قدراتك فإنه من العدل معاملتك بمساواة مع غيرك؟

طالب: لا أعتقد ذلك.

وهكذا يستدرج سقراط الطالب إلى أن ينتقد بنفسه تعريفه للمفهوم المطروح للمناقشة، فتشعره الأسئلة السقراطية بخطأ تعريفه الأولى، بحيث يصل هو بنفسه إلى ضحد مقولته في تعريفه الأول عند وصوله إلى نهاية الحوار.

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة سقراط استخدام العقل والمنطق لفهم العالم، وكذلك طبيعة المعرفة والحقيقة. اعتقد سقراط أن الأفراد يجب أن يشككوا في معتقداتهم وأن يسعوا جاهدين من أجل معرفة الذات، وأن هذه الممارسة الفكرية هي المفتاح لعيش حياة فاضلة وسعيدة. كما أكد على أهمية عيش حياة أخلاقية، وطرح فكرة أن الجهل هو أصل كل شر.

أفلاطون Plato

(4/423 – 8/347 ق. م)

يمكن النظر إلى أفلاطون بوصفه من أعظم فلاسفة الزمان (ربما أفلاطون وأرسطو معاً هم كذلك)، وكمؤسس للمدرسة المثالية التي استمرت مع معتقدات الكنيسة في العصور الوسطى. وقد سعى بعض فلاسفة العصور الوسطى للتوفيق بينها وبين المسيحية، كحال القديس أوغسطين. كذلك يمكن رؤيته عبر موضوع طوباوية أفكاره وعالمه المثالي، ورؤيته للعالم الواقعي، وحواراته حول الخلود وعالم المثل، وأن المعرفة تذكّر لما كانت تراه النفس في عالم المثل؛ وهي أفكار أثرت تأثيراً عظيماً في الفلسفة الأوروبية والعالمية على مر العصور.

أهم ما يُعرف به أفلاطون هو نظريته في المثل، ومفادها أن كل الموجودات التي تتبدى لنا هي صورة عن مثال أصيل لها موجود في عالم المثل. وقد ضرب مثال الكهف للدلالة عليها، حيث يوجد مساجين موثقة أيديهم خلف ظهورهم وعيونهم مسمرة على حائط تنعكس عليه صور الناس الذين يسيرون من أمام باب الكهف، على افتراض أن الشمس هي مصدر الضوء الذي يشع خلف الناس ويجعل صورهم تسقط على الجدار الداخلي الذي ينظر اليه المساجين.

إذن كل ما نراه بحواسنا في هذا العالم المحسوس هو مجرد خيالات، أو مجرد صور للحقيقة، لأننا لا نستطيع الالتفات إلى الوراء. أما طريق الوصول إلى الحقيقة فيملكها الفيلسوف وحده الذي يفك قيده ويهرع إلى خارج الكهف ليرى العالم على حقيقته، فيعود لإخبار زملائه في الكهف بالحقيقة ولكنهم لا يصدقوه، بل يناصبوه العداء والكراهية.

كذلك أسس أفلاطون في كتابه «الجمهورية» رؤية متكاملة لمدينة

فاضلة تنقسم فيها وظائف الناس إلى طبقات، إذ تؤدي كل طبقة وظيفتها بأمان تحت إشراف رئيس للمدينة الفاضلة، الذي يتم تدريبه على الحكم منذ نعومة أظفاره. ولكن لا وجود للحرية داخل المدينة الفاضلة لأن كل شخص هو مقيدّ بوظيفة محددة.

وقد عدّ أفلاطون الحكم الديمقراطي نظاماً سيئاً للحكم أدى إلى مقتل سقراط وسقوط أثينا في حربها مع الفرس، فمن الممكن أنه رأى الفيلسوف بأنه الشخص الوحيد القادر على إدارة هذه المدينة والتربع على سدة الحكم فيها؛ فربما كان يظن نفسه الفيلسوف – الحاكم.

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة أفلاطون ما يلي: الميتافيزيقا، ونظرية المعرفة، والأخلاق، والسياسة، وطبيعة الواقع.

الميتافيزيقيا: اعتقد أفلاطون أن هناك عالمًا من الأشكال أو الأفكار الأبدية غير المتغيرة، الموجودة خارج العالم المادي، والذي أطلق عليه «عالم المثل». كان يعتقد أيضًا أن هذه الأشكال هي أشياء للمعرفة، وأن المعرفة بها ضرورية لفهم العالم المادي لأن العالم المادي هو ظل أو نسخة من عالم المثل. كان يعتقد أيضًا أن الروح خالدة ويمكن أن توجد بعد الموت الجسدي.

نظرية المعرفة: اعتقد أفلاطون أن المعرفة فطرية وأنه يمكن تذكرها، بدلاً من اكتسابها من خلال الحواس والتجربة. كان يعتقد أيضًا أن المعرفة الحقيقية لا يمكن الحصول عليها إلا من خلال العقل والفلسفة.

الأخلاق: اعتقد أفلاطون أن الهدف النهائي للحياة البشرية هو تحقيق حالة من الفضيلة والحكمة، وأنه يمكن تحقيق ذلك من خلال عيش حياة فاضلة والانخراط في السعي وراء المعرفة.

السياسة: اعتقد أفلاطون أن أفضل شكل للحكومة هو نظام الجدارة،

حيث يتم اختيار الحكام على أساس حكمتهم وفضيلتهم. ورأى أنه يجب تنظيم المجتمع لتعزيز رفاهية المجتمع، وأن الهدف من السياسة هو تهيئة الظروف للمواطنين لتحقيق الفضيلة والحكمة.

أرسطو Aristotle

(384 – 322 ق. م)

أعطى العرب أرسطو طاليس لقب «المعلم الأول»، وكان قد درس على أفلاطون وأصبح أستاذاً للاسكندر المقدوني فيما بعد. ورغم أن أعمال أرسطو كانت مفقودة ومهملة في الغرب، فقد شرعت الحضارة العربية الإسلامية مبكرا في جمعها وترجمتها إلى اللغة العربية، وأجرت التطوير والإضافة عليها إلى أن حان الوقت أن بدأت تنتقل إلى الغرب منذ عصر النهضة الأوروبية عبر نقاط الالتقاء بين الحضارتين على الشواطئ الشمالية للبحر الأبيض المتوسط، وفي الأندلس.

الحركة في الكون عند أرسطو هي التغير من حال الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، بوجود العلل الأربع (الصورية والفاعلية والمادية والغائية)، كأن نضع تصوراً ما لصناعة طاولة، على سبيل المثال، فيكون المخطط الذهني هو العلة الصورية، فيما تكون العلة الفاعلة هي ممارسة عمل النجارة، أما العلة المادية فهي مواد الخشب المستعملة في صناعة الطاولة، وأخيراً فإن العلة الرابعة، العلة الغائية، وهي تحقيق غاية صناعة الطاولة ألا وهي استخدامها للكتابة.

كان العالم عند أرسطو قديماً وموجوداً منذ الأزل، واعتقد أنه سيظل قائماً إلى الأبد، وأن كل شيء فيه يسعى لتحقيق غاية ما (فكرة الغائية Teleology)، كما شاهدنا في صناعة الطاولة، وكأن تكون غاية إنشاء الدولة هي إسعاد مواطنيها. كما وضع أرسطو تصوراً للحركة استناداً إلى فكرة استحالة الخلاء، لأن الخلاء يستدعي الحركة اللامتناهية، وقد اعتقد أن هذا غير ممكن.

كما وضع أرسطو تصوراً بأن الأرض كروية، وهي مركز نظامنا الشمسي،

كما فعل بطلميوس في القرن الثاني للميلاد، فيما تدور الأفلاك حولها، وتنتهي بفلك النجوم، أي أنه وضع تصوراً لكون محدود لم يستطع العلماء من بعده تجاوز هذه الفكرة إلا في القرن السادس عشر مع كوبرنيق Copernicus (ت 1543)، وذلك عبر أنموذج مركزية الشمس في نظامنا الشمسي، الذي كان أول من وضعه أريستارخوسAristarchus الاغريقي الذي مات في الاسكندرية عام 230 قبل الميلاد، ولكن لم يتم اعتماده آنذاك.

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة أرسطو: المنطق، والميتافيزيقا، والأخلاق، والسياسة، وعلم الأحياء.

المنطق: طور أرسطو نظامًا للمنطق لا يزال مستخدمًا حتى يومنا هذا، يُعرف بالمنطق الأرسطي، والذي يقوم على القياس المنطقي، وهو أسلوب ومنهج في التفكير يتم فيه استخلاص مقدمات يتم التحقق من صدقيتها.

الميتافيزيقيا: طور أرسطو نظرية السببية، والتي تنص على أن كل شيء له سبب وأن هناك محركًا رئيسا، أو «المحرك غير المتحرك»، الذي يحرك كل الحركة في الكون.

الأخلاق: اعتقد أرسطو أن الهدف النهائي للحياة البشرية هو الوصول إلى حالة من السعادة، وأن هذا يمكن تحقيقه من خلال عيش حياة فاضلة.

السياسة: اعتقد أرسطو أن أفضل شكل للحكومة هو حكومة دستورية، يتم فيها تقاسم السلطة بين مجموعات مختلفة، وأن الهدف من السياسة هو خلق الظروف المناسبة للمواطنين لتحقيق الحياة الجيدة.

علم الأحياء: قدم أرسطو مساهمات كبيرة في دراسة علم الأحياء، بما

في ذلك تصنيف الكائنات الحية وتطوير نظرية الأسباب الطبيعية لشرح طريقة عمل العالم الطبيعي.

كذلك كتب أرسطو عن موضوعات أخرى مثل البلاغة والموهبة الشعرية وعلم النفس والفيزياء، والتي كانت مهمة أيضًا لفلسفته ولكنها كانت أقل تأثيرًا من المجالات المذكورة أعلاه.

شيشرون Cicero

(106 – 43 ق. م)

ماركوس توليوس شيشرون، سياسي وخطيب وفيلسوف روماني، وشارح لفلسفة زمانه، كالابيقورية والروائية والمذهب الشكي. كما استحضر شيشرون التراث الفلسفي الإغريقي وناقش علاقة الأفكار المجردة بالثقافة السائدة للوصول إلى لاهوت عقلاني ونظام أخلاقي واقعي للحياة مناسب للمجتمع المعني (والمقصود هنا المجتمع الروماني الوثني طبعاً) وذلك عبر حوارات على النمط السقراطي، وقد أسس لها شيشرون في كتاباته الفلسفية المتنوعة، المبكرة منها والمتأخرة.

في المرحلة الأولى من حياته نشر أعماله في كتابه «الجمهورية» Republic، وكتابه «القانون» Laws، بتأثير واضح من أعمال أفلاطون في الجمهورية، فضلاً عن عمله الشهير «في طبيعة الخطابة» On the Orator من حيث دور الخطابة في السياسة. وفي أعماله المتأخرة كتب «في طبيعة الآلهة» الذي تضمن عملاً موسوعياً في تاريخ الفلسفة. وفي نظرية المعرفة كتب «أكاديميكا» Academica، وفي الأخلاق كتب «حول الغايات الأخلاقية» On Moral Ends، حيث استخدم المنهج الشكي في نقد طبيعة الفلسفة والمذاهب الأخلاقية في عصره.

لا يغفل العالم عن إبراز أهمية ترجمات شيشرون للفلسفة الإغريقية على تطوير اللغة اللاتينية، إضافة إلى عدّه أبا القانون والسياسة الحديثة، وخاصة الحكومة الدستورية. كذلك يبدو أثره واضحاً على الشك في المعتقدات الدينية، كما تبدت عند الفيلسوف الإنجليزي ديفيد هيوم، خاصة من جهة العلاقة بين النظام الأخلاقي والاعتقاد الديني.

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة شيشرون الفلسفة الرواقية،

والجمهورية الرومانية، والقانون الطبيعي.

الرواقية: تأثر شيشرون بشدة بالفلسفة الرواقية، التي تعلّم أن الأفراد يجب أن يجاهدوا للعيش وفقًا للعقل والفضيلة، وأنهم يجب أن يكونوا غير مبالين باللذة والألم، والثروة والفقر، والأحداث الخارجية الأخرى.

الجمهورية الرومانية: كان شيشرون مدافعًا قويًا عن الجمهورية الرومانية ونظام الحكم فيها، والذي كان يعتقد أنه قائم على مبادئ الحرية والعدالة وسيادة القانون. كان يعتقد أن الجمهورية الرومانية متفوقة على أشكال الحكم الأخرى، مثل الملكية والديمقراطية، وأنه من واجب المواطنين الدفاع عنها والحفاظ عليها.

القانون الطبيعي: اعتقد شيشرون أن هناك قانونًا طبيعيًا يحكم الكون، وأن هذا القانون هو أساس جميع الأنظمة الأخلاقية والقانونية. واعتقد أن الأفراد لديهم ميل طبيعي لفعل الخير وتجنب الشر، وأن هذا الميل هو أساس الأخلاق. كما أعرب عن اعتقاده أن قوانين الإنسان يجب أن تتوافق مع القانون الطبيعي.

كتب شيشرون أيضًا عن مواضيع أخرى مثل البلاغة والخطابة، والتي اعتبرها ضرورية للحياة السياسية والحفاظ على الجمهورية الرومانية.

ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius

(121 – 181 بعد الميلاد)

إمبراطور وفيلسوف روماني رواقي Stoic، له كتاب اسمه «التأملات» Meditations كتبه لنفسه كي يعيش حياة رواقية منسجمة مع الطبيعة وعلى أساس الفضيلة، التي هي أساس سعادتنا كما كان يعتقد، وليس على أساس المقتنيات المادية من حولنا؛ فسبب تعاستنا هو اتخاذ منهج الرذيلة في حياتنا، فعلينا الانسجام مع الطبيعة وكبح العقل لانقياد النفس وراء اللذة والخوف، وهو غاية الوجود عنده، كما كان عند الفيلسوف زينون مؤسس المذهب الرواقي.

والعدالة هي بمثابة التصرف كجزء من المجتمع في المدينة العالمية التي تخدم الإنسانية وجميع الناس في المجتمع (طبعاً العبيد ليسوا جزءاً من هذا الاتفاق)، ومن يفعل العكس فهو مثير للفتنة وهدفه تفتيت وحدة المجتمع. أمّا المنظومة المجتمعية القائمة فهي التي تنظم المجتمع بالدرجة الأولى، ثم تأتي المؤسسة العقلانية، والتي تصبح أكثر نضجاً بممارسة العدالة في المجتمع.

العالم الذي نراه من حولنا هو إمّا من خلق إله قدير كما يقول الرواقيون والأفلاطونيون، أو نتيجة تصادم عشوائي لذرات صغيرة من المادة في الخلاء كما يقول الأبيقوريون، وعندما نموت تتبعثر الذرات وتتشتت، فإما أن تخفي الطبيعة أثرنا تماماً، أو أنها تحولنا إلى شيء آخر عبر تجمع الذرات في أشكال جديدة. وإن الولاء للفلسفة هو التعالي عن الشعور بالألم والخوف من الموت وما إلى ذلك.

لا شك في أن فلسفة ماركوس أوريليوس أسست لمفهوم الواجب الأخلاقي في الفلسفة الغربية، كما سوف نرى في فلسفة كانط لاحقاً،

على أساس فكرة ما ينبغي أن يفعله الإنسان وفقاً لقانون الطبيعة، فيما حوّل القدر بعناية فائقة إلى قوة إيجابية عبر قانون «وحدة الوجود»، الذي مفاده أن الله والكون هما وجهان لعملة واحدة، وهي فلسفة سوف نراها في القرن السابع عشر عند الفيلسوف اليهودي سبينوزا.

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة ماركوس أوريليوس: الرواقية، والانضباط الذاتي، والمسؤولية الشخصية.

الرواقية: تأثر ماركوس أوريليوس بشدة بالرواقية، حيث تعلّم منها أن الأفراد يجب أن يسعوا للعيش وفقًا للعقل والفضيلة، وأن يكونوا غير مبالين باللذة والألم، والثروة والفقر، والأحداث الخارجية الأخرى. كان يعتقد أنه من خلال قبول وفهم الترتيب الطبيعي للأشياء وعدم ثبات كل الأشياء، يمكن للمرء أن يحقق الهدوء والسلام الداخليين.

الانضباط الذاتي: اعتقد ماركوس أوريليوس أن الانضباط الذاتي وضبط النفس ضروريان لتحقيق الحكمة والفضيلة. كذلك ظن أن على الأفراد أن يجتهدوا للسيطرة على عواطفهم ورغباتهم، وأن يسترشدوا بالعقل والفضيلة في كل شيء.

المسؤولية الشخصية: اعتقد ماركوس أوريليوس أن الأفراد مسؤولون عن أفعالهم وأن عليهم السعي لعيش حياة فاضلة والاسترشاد بالواجب، وأنه من خلال الوفاء بواجبهم يمكنهم تحقيق السلام الداخلي.

تتضمن فلسفته أيضًا أهمية التواضع والامتنان وممارسة اليقظة التي كتبها في عمله الشهير «تأملات». كان يعتقد أنه من خلال ممارسة هذه الفضائل، يمكن للأفراد تحقيق حالة من السلام الداخلي والحكمة والفضيلة.

القديس أوغسطين St. Augustine

(354 – 430 بعد الميلاد)

يُعد القديس أوغسطين من أعظم الفلاسفة المسيحيين في العصور الوسطى، واحتسبته الكنيسة قديساً لسلطته في القضايا اللاهوتية التي استمر تأثيرها على الثقافة الغربية حتى القرن التاسع عشر، من حيث اللغة والمنهج الشكي والمعرفة والحرية والحتمية والإرادة وغير ذلك. أهم أعماله الكثيرة «الاعترافات» Confessions الذي أثر في كتابة السيرة الذاتية عالمياً وعلى صعيد واسع، فيما ظلت أفكاره متأثرة بالأفلطونية والتراث الفلسفي الكلاسيكي.

المسيحية عند أوغسطين هي الفلسفة الحقيقية، والفيلسوف الحقيقي محب لله، وتتطابق فلسفته مع حكمة الله، وما خطأ الفلاسفة سوى خصلة الكبرياء التي إذا تخلوا عنها وصلوا إلى السعادة عبر الفضيلة، وذلك عبر وساطة المسيح المتجسدة بدلاً من الوثنية وغيرها من المعتقدات، لأن المعرفة بذواتنا الحقيقية تستدعي بالضرورة المعرفة بأصولنا الإلهية. وهكذا لم يصل أوغسطين إلى التمييز الواضح بين الفلسفة واللاهوت.

فلسفة أوغسطين تنطوي على الانتقال من المحسوس المادي إلى المعقول الروحي لفهم الذات، ولكي نسمو بأنفسنا حتى نتصل بالله. وينطلق من فكرة الكوجيتو الديكارتي؛ فعندما أمارس المعرفة أخطئ، وطالما أنا أخطئ إذاً أنا موجود؛ ولكنه لا يتابع هذا الحوار منهجياً كما فعل ديكارت، فلا يؤسس عليه أي فلسفة متماسكة، بل يستخدمه كانطلاقة للوصول إلى الله، وإلى فهم عقلاني لسر الثالوث عبر بنية العقل البشرى.

ويستخدم أوغسطين في سبيل ذلك البراهين على وجود الله، كالبرهان العلّي (من العلة والمعلول)، أي أن الأثر يدل على صاحبه، كما في الفلسفة الاسلامية. ويستخدم البرهان الأنطولوجي بقوله: إن الموجود الكامل هو الذي يتصف بجميع صفات الكمال، وطالما الوجود هو أحد هذه الكمالات، فإذاً الكائن الكامل (الله) موجود.

ويقول أوغسطين إن ثقة الفلاسفة الزائدة بقدرة العقل البشري غير مبررة وناجمة عن الكبرياء الآثم، فالإيمان ضروري لأن يسبق العقل من أجل فهم الحقائق الإلهية، رغم أن الفهم الحقيقي لله لا يتم إلا عند لقاء الله وجهاً لوجه. أما الكتاب المقدس فهو الضمانة لمنع سقوط العقل البشري في الضلال. فالإيمان ضرورة معرفية وكذلك أخلاقية بوصف العقل الإنساني صورة لله.

ويقول أيضا: الرجل مخلوق على صورة الله وهو العقل النظري، أما المرأة فهي العقل العملي الموجه نحو الأمور المادية، ولذلك عليها أن تلتزم بارتداء الحجاب. أما الرجل فهو مستثنى من ذلك لأنه على صورة الله؛ وهكذا أسس أوغسطين أيضاً للتباين الاجتماعي بين الجنسين، وذلك في سياق إرساء دعائم الفلسفة المسيحية الأولى.

الكندي Al Kindi

(805 – 873 م)

هو أبو يوسف، يعقوب بن إسحق الكندي؛ يُعده الكثيرون مؤسس الفلسفة العربية الإسلامية، وفيلسوف العرب، حيث اشتهر بأعماله التي قدم فيها الفلسفة الإغريقية للحضارة العربية الإسلامية وللعالم، وخاصة الفكر الأرسطي والأفلاطوني المحدث، مثل فكر أفلوطين Plotinus. له إسهامات في علم الفلك والطب والكيمياء والفيزياء والبصريات والرياضيات والتشفير والموسيقى والفلسفة والهندسة والمنطق. ويُعد الكندي ممثلاً للتيار العقلاني في العصر العباسي الذي عُرف بتماسك منطقه النظري وقدرته على حوار الخصوم، وخاصة في ضوء اضطهاد التيار المعتزلي النخبوي الذي ساد في تلك الأزمنة. لقد غدا العقل هو المرجعية الوحيدة المقبولة لتحصيل المعارف العامة.

حاول الكندي تقريب الفكر الإغريقي لجمهور المسلمين عبر ترجماته وأعماله في بيت الحكمة في بغداد، حيث أدخل مفردات فلسفية عربية جديدة على اللغة. وسعى للتوفيق بين الفلسفة وعلم اللاهوت وعلم الكلام، وركز اهتمامه على دراسة وحدانية الله، وعلى طبيعة الخلق، حيث خلق الله العقل أولاً، ومن خلاله خلق الأشياء الأخرى. وهذه الأشياء لا تُدرك إلا عبر التأمل والإدراك العقلي (رؤية أفلاطونية واضحة). واذا كان العقل هو المرجعية الوحيدة لتحصيل المعارف، فإن الرياضيات هي طريق أساس صوب ممارسة الفلسفة.

وانطلق الكندي من مقولة جابر بن حِيّان: «العلة الأولى هي العقل، والعقل هو العلم، والميزان هو العلم». كما انطلق من موقف ابن حيّان الفلسفي عبر جدلية الظاهر والباطن، وأن أحدهما يقود إلى الآخر، لذلك انفتح الباب أمام المثاقفة وقبول فكر الآخر الذي أصبح اندماجه ممكناً

في ظل التنوع الثقافي الذي ساد في الحضارة العربية الإسلامية.

وقد تصوّر الكندي أن الفلسفة والنبوة طريقان مستقلان للوصول إلى الحقيقة، وفيما رأى أن الأولى صعبة وغير دقيقة، اعتقد أن النبوة هداية أوضح وأشمل للحقيقة مقارنة برؤية الفيلسوف، ورغم ذلك رأى الكندي أن بعض النفوس البشرية النقية الطاهرة قادرة على رؤية أحداث المستقبل، أي أنها قادرة على الوصول إلى حقائق نهائية. وبما أن مسائل الايمان لا يمكن استيعابها، فاعتقد أن الوحي هو مصدر المعارف للعقل.

ترك الكندي نحو 290 كتاباً في مختلف صنوف المعرفة، وترك أثراً على الفلاسفة المسلمين من بعده، كالفارابي وابن سينا وغيرهما، واعتنق مذهب بطلميوس في رؤيته للنظام الشمسي (القائم على مركزية الأرض)، واستخدم الرياضيات في صناعة الطب والصيدلة، واشتغل على أثر جابر بن حيان في تأسيس الكيمياء على علم تجريبي، واستمر في معارضة أفكار «الخيمياء» التقليدية. كذلك أسهم في نشر النظام الهندي للترقيم، ووضع قواعد للموسيقى، وسلّماً للموسيقى، وأضاف الوتر الخامس إلى العود، وهو يُعد أول من أدخل كلمة موسيقى إلى العربية. وربما يكون الكندي أول من تناول تدوين الموسيقى العربية في رسالته «رسالة في خبر تأليف الألحان» التي تابع التأليف فيها الفارابي فيما بعد.

الرازي Al Razi

(925 – 865)

أبو بكر الرازي، الفيلسوف والرياضي والطبيب والكيميائي، عاش في عصر العلم والدولة العباسية القوية المهيبة الجانب. جعل الرازي العقل في المقام الأول، فطالما وهبنا الله العقل فلسنا بحاجة إلى وسطاء (أي لسنا بحاجة إلى وساطة حكيم، عادل، نبي، أو غيرهم)، لأن في ذلك إنكار لحكمة الله في توزيع العقول بين الناس. وبناء عليه فلا وجود لواسطة بين الله والناس، والدليل على ذلك هو اختلاف الأنبياء في رسائلهم إلى الناس.

وفي نظرية الرازي في الوجود، لا يُخلق شيء من لا شيء، لذلك فإن المادة قديمة، كذلك حال الله والنفس والهيولي والمكان والزمان (وهم في مجموعهم يعدّون القدماء الخمس عند الرازي). وهكذا تعمق خروج الفكر الفلسفي عن أيديولوجيا الدولة الرسمية على نحو يذكرنا بمحاولات فلاسفة القرنين السادس عشر والسابع عشر في أوروبا هدم منظومة أرسطو في نظام الكون، وذلك في معرض تدمير أيديولوجيا الكنيسة الكاثوليكية التي سعت إلى التوفيق بين الأرسطية والدين.

لأبي بكر الرازي أكثر من 224 كتاباً في الطب والطبيعيات والكيمياء والفلسفة والمنطق، حيث نقد نظرية إقليدس في الإبصار التي افترضت خروج شعاع من العين إلى الجسم المنظور إليه (وهذه النظرية أكد عليها ابن الهيثم فيما بعد). وله نظريات أثارت نقاشاً كبيراً، مثل قضية العدالة الإلهية التي تم بحثها في كتابه «دلالة الحائرين»، حيث تعرض على إثرها لنقد موسى بن ميمون وابن سينا وابن حزم ومجموعة من الإسماعيلية، مثل ناصر بن خسرو وحميد الدين الكرماني، وغيرهما، كما اتهم بالكفر والزندقة.

يقول الرازي: العلم هو الطريق، وبالجهد والمثابرة يتوصل العقل إلى الحقيقة. إن خلاص الناس ليس في ماضيهم بل مستقبلهم، ويأتي الخلاص عن طريق العمل الفلسفي والاجتهاد العقلي، فالإنسان مجتهد، وفي هذا الاجتهاد تأكيد على حق الاختلاف بين الناس.

الفارابي Al Farabi

(950 – 870)

أبو نصر الفارابي، صاحب لقب «المعلم الثاني» بعد أرسطو، حيث كان متخصصاً في كتابات أرسطو. وكان رياضياً، وفيزيائياً، وفيلسوفاً، وخبيراً في المنطق، وعالماً في صناعة الموسيقى. حاول بلورة مفهوم متماسك للمدينة الفاضلة الذي طرحه أفلاطون في جمهوريته، ولكن من منظور عربي إسلامي، بهدف نشدان السعادة عبر ممارسة الفضيلة وذلك في مواجهة المدن الأخرى الجاهلة. وتمتاز مدينته الفاضلة بالمساواة بين أفرادها وبأنظمة تربوية صارمة، أمّا الحكم فيها فليس بالضرورة لسيد حاكم واحد، إذ يمكن أن يكون هناك أكثر من حاكم، حيث يضع الخصال المطلوبة من كل منهم.

واهتم الفارابي بصناعة الموسيقى فعرّف معنى اللحن، وعدد أصناف الألحان وأهدافها ومناسبات النغم واتفاقاتها واختلافاتها؛ كما صنّف الآلات الموسيقية وميّز بينها، ووجد أن الرغبة الغريزية لدى الإنسان هي التي تدفعه إلى إنتاج الموسيقى للتعبير عن انفعلات النفس البشرية. وميّز بين «الألحان المُلذة» و«الألحان المُخيلة» التي تحفز الإنسان على التخيل، و«الألحان الانفعالية» التي تضخم انفعالات النفس أو تزيلها.

وجد الفارابي إرث الكندي الفلسفي ماثلاً أمامه، حيث جعل الإنسان العقلاني المرجعية الوحيدة في كل شيء. إذ تتمظهر هذه الفلسفة في موقف الفارابي من الأخلاق باعتبارها أخلاقاً مكتسبة قابلة للتحصيل الإنساني باضطراد متراكم، وأن السعادة هي الخير المطلق بوصفها غاية معرفة الحقيقة، وأن كل ما يعيق الوصول إلى السعادة المنشودة هو شر مطلق.

دمج الفارابي بين الفلسفة والشريعة والموسيقى، وسعى إلى التوفيق بين فلسفة أرسطو وأفلاطون، ورد اتفاق الفلسفة مع الشريعة إلى وحدة مصدر المعرفة (وحدة الواسطة) حيث يستمد النبي وحيه مباشرة من الله، فيما يستمد الفيلسوف المعرفة من «العقل الفعّال» فتحضره المعرفة مجردة.

وقد كان أثر كتاب الفارابي «ما بعد الطبيعة» على ابن سينا كبيراً باعتراف الأخير أنه قراءه أربعين مرة. وعبر فلسفته، اتخذت الفلسفة العربية الإسلامية شخصية مميزة، إذ تأثر به إخوان الصفا وابن باجة وابن ميمون وابن رشد وابن عربي وابن خلدون والسهروردي والشيرازي وغيرهم، كذلك تأثر فلاسفة غربيون بالفارابي، ومنهم القديس توما الأكويني الذي استعان بحجة الفارابي على إثبات وجود الله، على سبيل المثال.

وفي كتاب إحصاء العلوم أراد الفارابي أن يُلمّ الدارس بعلوم عصره بطريقة مختصرة، فكان من أوائل الموسوعات العلمية المختصرة التي أسست لأعمال موسوعية كرسائل إخوان الصفا، ومشروع ابن سينا في كتابه «الشفاء»، وابن النديم في كتابه «الفهرست»، وفخر الدين الرازي في كتابه «حدائق الأنوار في حقائق الأسرار»، وغيرهم. وينظر إحصاء العلوم بعمق في وشائج القربى بين العلوم المختلفة التي لا تكتشفها الحضارة إلا عند نضوجها فكرياً وعملياً.

ابن سينا Avicenna

(980-1037)

أبو علي الحسين ابن سينا، اختار أن يخطو خطى الفيلسوف، فتحرر من دور الفقيه الاسلامي مستخدما المنطق العقلي والبرهان، وظل تابعا للمعتقدات الأرسطية إلى حين شرع في تأليف وتركيب وابتكار فلسفة أرسطية جديدة. ولكنه رغم ذلك حافظ على بعض المواقف الأرسطية كالاعتقاد بفكرة قدم العالم التي تتعارض مع فكرة خلق العالم في الفكر الاسلامي، فيما اختلف مع أرسطو في عدة أفكار كالعلاقة بين الروح والجسد أو بين النفس والجسم، إذ اعتقد أرسطو أن الروح والجسد شيء واحد، حيث أنه بفناء الجسد تفنى الروح.

أمّا ابن سينا فاعتقد بالتمايز الكلي بين الروح والجسد، تماما كما فعل أفلاطون عندما اعتقد أن النفس تبقى أسيرة في الجسد حتى يفنى الجسد، وعندها تنطلق الروح فتغادره لتسكن في جسم آخر. وهي فكرة تناسخ الأرواح التي اعتقدت بها الحضارات القديمة، مثل الهندوسية. وقد أبدع ابن سينا في مثال «الرجل الطائر» في أطروحته حول الروح في كتاب «الشفاء» عندما استخدم مثال الرجل الطائر في إثبات التمايز بين الروح والجسد، وقد سبق بذلك ديكارت بمئات السنين. فتخيل ابن سينا في مثال الرجل الطائر أن رجلا يهوي من منطقة مرتفعة وقد فقد حواسه كافة، ولكنه رغم ذلك فإن الرجل يظل مدركا أنه يهوي، أي أنه يظل يعي وجود ذاته.

ولما استقرت قناعة ابن سيناء أن الروح والجسد متمايزان, وأن الروح تبقى عندما يفنى الجسد ويزول بالموت، فإنه بذلك تعارضت أفكاره مع الفكر الاسلامي القائم على عقيدة أن الانسان في الآخرة يحافظ على جسده في أكمل وجه وأحسن حال، ويتمتع به في الحياة الآخرة. لذلك

كفّره حجة الاسلام الغزالي لرفضه فكرة قيامة الموتى بأجسادهم.

وفي منتصف القرن الثالث عشر جاء الفيلسوف المسيحي توما الأكويني وذهب في فلسفته مذهب أرسطو في الربط بين الروح والجسد، وظل الأمر كذلك إلى حين جاء الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت في القرن السابع عشر ليعود إلى فكرة ابن سينا في الفصل بينهما والقول إن الجسد يفنى والروح تبقى خالدة.

يرفض معظم الفلاسفة المعاصرين فكرة ثنائية الروح والجسد نتيجة ما قدمه العلم المعاصر من معلومات عن نشاط الدماغ وآلية عمله، ولكن هل يعني ذلك أنه يمكننا تفسير التفكير في معزل عن «الأنا»؟

يعتقد الفيلسوف البريطاني جلبرت رايل أنه يمكننا تفسير طريقة وعي الانسان من دون اللجوء إلى فكرة «الأنا» الشبحيّة المعالم التي ألصقناها بالانسان. وما زال أكثرية الفلاسفة اليوم يعتقدون أن النفس هي مجرد نشاط في الدماغ، ورغم ذلك فهناك بعض الفلاسفة الذين ما زالوا يؤمنون بوجود الروح بشكل مستقل عن الجسد، كما سبق أن قال ابن سينا.

ابن رشد Averroes

(1126 – 1198)

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، اشتهر باسم ابن رشد الحفيد. فيلسوف أندلسي، برع في الفقه والفلسفة وعلم الهيئة والرياضيات والطب، وسعى إلى التوفيق بين الشريعة والفلسفة، حيث سمّى الفلسفة «صاحبة الشريعة وأختها الرضيعة». يعد شارح أرسطو الأكبر، حيث شرح ابن رشد مؤلفات أرسطو وعد مؤلفها ملكاً إلهياً لا بشراً، وذلك لاجتماع العلم في إنسان واحد. كذلك دمج ابن رشد الأفكار الإغريقية بالفكر الإسلامي، وأعاد إحياء الفكر الإغريقي في العالم الغربي بعد أن ضاع لقرون عديدة، فأصبح في متناول الغرب عبر قنوات الاتصال المتاحة.

دافع ابن رشد عن الفلسفة فرد على كتاب الغزالي «تهافت الفلاسفة» بمؤلفه «تهافت التهافت» الذي دافع فيه عن ضرورة اشتغال الفلسفة بالعقيدة. وأسس ابن رشد الفكر الأرسطي وفق منهجه ورؤيته الفلسفية، فأخرج للعالم فلسفة أرسطية – رشدية بعيدة عن الأثر المثالي الأفلاطوني وأتباعه الجدد، وجعلها محببة لدى المسلمين بعد أن تم تكفير من يشتغل بالفلسفات القديمة بوصفها أفكارا وثنية.

المادة والحركة والفعل، جميعها مترابطة، فالفعل يُحرّك المادة التي لا تتلاشى، فهي لذلك تبقى أبدية، أمّا المحرك الأول فهو الله، وهو مصدر القوة والفعل. أمّا العقل الفاعل العام لدى البشر فهو عقل خالد، وهو عقل مشترك بين الإنسانية التي هي وحدها الخالدة، أمّا العقل الخاص المنفعل للإنسان فيفنى مع الجسد، لذلك لا يكون هناك حياة فردية بعد الموت. وفي ذلك تناقض مع الفقه الاسلامي، الأمر الذي جعله عرضة للتكفير.

أعطى ابن رشد العقل القدرة على الحكم الفصل في قضايا المعرفة

والوجود والتشريع والقيم الأخلاقية، فالعقل هو المرجع النهائي في حال الاختلاف والتناقض في فهم النص الديني. وقد اعتقد ابن رشد أن كل من خاض في الأمور الماورائية لا شك يخطئ، كقضايا الآخرة والروح والله وما اليها. وفي الوقت نفسه اعتقد ابن رشد أن هناك حدوداً للعقل، حتى في العلوم الطبيعية التي تقوم على دراسة العالم الطبيعي من حولنا، لذلك، وفي مواجهة ذلك، رأى بالرجوع إلى الشرع فقط عندما تعجز العقول عن تفسير ظاهرة ما.

ولكن، رغم ذلك، يحذر ابن رشد من أن مرجعية وأدوات كل من العقل والنقل مختلفة، ولهذا تختلف الحقائق النهائية لكل منهما. ويخلص إلى أن الشريعة توجب التفلسف لأن لها معاني ظاهرة للعامة وأخرى باطنة ظاهرة للخاصة وتستلزم التأويل الذي ينبغي أن يقوده العقل بلا منازع. وهذه الأولوية للعقل في الوصول إلى الحقائق قد أسهمت في تجاوز أوروبا للعصور الوسطى التي قامت أساساً على فكرة أولوية النقل على العقل.

تشمل موضوعات ابن رشد الفلسفية الرئيسة العلاقة بين الدين والعقل، وطبيعة السعادة البشرية والحياة الجيدة، ودور العقل في فهم الواقع، والتوفيق بين الفلسفة الأرسطية واللاهوت الإسلامي. اشتهر بتعليقاته على أعمال أرسطو، حيث حاول التوفيق بين الفلسفة الأرسطية واللاهوت الإسلامي. تتميز فلسفته أيضًا بتأكيده على استخدام العقل وأهمية البحث العلمي، ودفاعه عن فكرة أنه يمكن أن يكون هناك تفسيرات متعددة صالحة للنصوص الدينية.

توما الأكويني Thomas Aquinas

(1274 – 1225)

القديس توما الأكويني من أشهر المفكرين في القرون الوسطى في اللاهوت والفلسفة الذين قامت فلسفتهم على التصالح والتوفيق بين اللاهوت المسيحي والعلم والفلسفة. اعتقد أن كل شيء في الكون له غاية، كما اعتقد أرسطو من قبله، ولكنه أضاف أن هذه الغاية توهب من الله. وبالنظر إلى طبيعة الأشياء والقوانين الموجودة في الطبيعة فإنه يمكننا معرفة نوايا الله في خلقه من الأشياء المادية والحية في الطبيعة. ولكن الله (المعقول الصرف) لا يمكن للعقل إدراكه، لذلك نهيب بالوحي كي يتمم ما بدأه العقل.

استخدم توما الأكويني الاستدلال المنطقي للوصول إلى دلائل حول وجود الله، وأنه هو المحرك الأول الذي من دونه لا وجود لشيء في العالم. ففي الدليل الأول «الدليل الكوزمولوجي» الذي يعود بقانون السببية إلى علة سابقة، وهكذا دواليك، حتى الوصول إلى المحرك الأول، وهو الله. والدليل الثاني هو عدم جواز تسلسل العلل إلى ما لا نهاية. لهذا يستوجب المنطق بلوغ محرك أول، وهو الله. والدليل الثالث يقوم على فكرتي الضرورة والإمكان، فالإمكان ما يمكن أن يكون أو لا يكون، بينما الضرورة هو وجود ضروري، كوجود الله، واجب الوجود. والدليل الرابع هو الكمال، فكل موجودات العالم ناقصة إلا الله، فالحق المطلق يستدعي وجود الوجود المطلق (الله). والدليل الخامس هو مستمد من فكرة الغائية في الطبيعة، غاية وضعها الله في الأشياء كي تحقق الهدف من وجودها في الكون.

استخدم الأكويني المنهج التجريبي في التوصل إلى حقائق نهائية عبر الاستقراء العقلي، فبدأ من دراسة الطبيعة للكشف عن خالقها، وقد

استدعى ذلك عدم الاعتقاد بوجود أفكار فطرية في النفس ناجمة عن وجود الله. وعلى العكس من ذلك، نجد عند ديكارت فيما بعد أفكاراً عن الفطرة في النفس البشري، وبالمقابل نجد فيلسوفاً مثل كانط يؤيد الأكويني في منهجه من حيث اعتقاد الاثنين أن معرفة الله والخلاص والإيمان بالله هي مسائل تستدعي التحليل النقدي العقلي، ولا علاقة لها بالفطرة البشرية، طبعاً مع ملاحظة الفرق في تعقيد التحليل العقلي عند كل من كانط والأكويني.

تشمل بعض الموضوعات الرئيسة لفلسفة الأكويني: وجود الله وطبيعته، والعلاقة بين الإيمان والعقل، وطبيعة البشر والغرض منها، ومفهوم القانون الطبيعي. كما كتب كثيرًا عن الأخلاق والسياسة وطبيعة الكون. أشهر أعماله، Summa Theologiae، هو توليفة شاملة لمعتقداته الفلسفية واللاهوتية.

ابن خلدون Ibn Khaldun

(1406 – 1332)

أدرك أبو زيد، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، العمران لذاته في مقدمته «*العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر*»، مستقلاً عن النزعات الأخلاقية أو الدينية. واكتشف آلية حركة التاريخ (العصبية)، حيث هي الوازع الذي تفرزه الحياة الاجتماعية في البادية. أمّا سبب العصبية فهو المصلحة المشتركة الدائمة للجماعة؛ ولمّا كان كل كائن يسعى إلى تحقيق كماله، فإن العصبية تقود إلى المجتمع الحضري الذي يفرض قوة معنوية جديدة بدل العصبية، وهي الدين.

وفي المدينة يزداد الترف بين بعض فئات المجتمع، حتى تصبح الدولة هي الأسرة الحاكمة وحاشيتها التي تنتفع منها، فتزداد تبعاً لذلك الضرائب لتغطية مصروفات الترف، الأمر الذي يؤذن بخراب العمران، حيث تضعف العصبية ووتتراجع أخلاق البداوة نتيجة الترف السائد، فتنهار الدولة. وبعد انهيار الدولة تستيقظ العصبية من جديد لبناء المجتمع الحضري مرة أخرى؛ وهكذا تتشكل الدورة الخلدونية في مفهوم بناء الدولة والتي تعيد تكرار مراحل تطورها.

عند ابن خلدون، يتميز الإنسان عن الحيوان بالفكر، وأرقى مراحل الفكر هو الفلسفة، ولكن تفقد الفلسفة البوصلة إذا طلبت معرفة الروحانيات عن طريق العقل. ولهذا هاجم ابن خلدون المعتزلة، ودافع عن الأشاعرة، ولكنه أيضاً تحدث عن خلط الغزالي بين الفلسفة والإلهيات واحتسابهما علماً واحداً. ولكن ابن خلدون ميّز بينهما من حيث أن الفيلسوف ينظر في الجسم من حيث أنه يتحرك ويسكن، فيما ينظر إليه أصحاب علم الكلام من حيث أنه يدل على الفاعل. ولكنه عاد للقول إن أصحاب الفلسفة

ضررهم كبير على الدين، كما قال الغزالي، وأن العلوم الإلهية لا تُوسَّع فيها الأنظار ولا تُفرَّغ فيها المسائل، على عكس العلوم المقصودة، كالتفسير والحديث وعلم الكلام والطبيعيات. أما العلوم التي هي بمثابة آلية لبلوغ علوم الدين، كالعربية والحساب للشرعيات، والمنطق للفلسفة، فلا حاجة للتوسع فيها.

وهكذا أدى سقوط الفلسفة عند ابن خلدون إلى فتح الباب أمام العلوم الاجتماعية باستخدام المنهج العلمي القائم على التجربة والاستقراء بديلاً للتنظير الصوري الفارغ، فبات المنهج فيها ينطلق من الاستقراء في جزئيات المادة ليصل إلى القوانين العامة والتعميمات، ففك ابن خلدون بذلك أسر العقل من القيود الصورية والتجريد وأبرز قيمة العقل في العلوم التجريبية، فكان إرهاصاً لديكارت وإيذاناً ببداية عصر النهضة الأوروبية بالجمع بين ميزات كل من المنهج التجريبي الحسي والمنهج العقلي وذلك في دراسة الطبيعة.

تشمل بعض المحاور الرئيسة في فلسفة ابن خلدون مفهوم العصبية الذي يشير إلى التماسك الاجتماعي والتضامن الذي يجمع الجماعة أو المجتمع معًا، والطبيعة الدورية للتاريخ، وصعود الحضارات وسقوطها، ودور العوامل الاقتصادية والديموغرافية في تشكيل المجتمعات والدول، وأهمية التعليم والمعرفة في التنمية البشرية. كما كتب على نطاق واسع في القانون والسياسة وتاريخ العالم الإسلامي. أشهر أعماله، «المقدمة»، وهي مقدمة شاملة لمنهجه التاريخي وانعكاسًا لطبيعة المجتمع البشري.

ميكيافللي Machiavelli

(1527 – 1465)

يُعد كتاب نقولا ميكيافللي «الأمير» فتحاً جديدا في النظرة السياسية لعصره الذي عاش في ظل عدم استقرار الدويلات الإيطالية خلال عصر النهضة الأوروبية، وذلك بفعل الطرائق الخبيثة وغير النبيلة التي نصح ميكيافللي أن يتبعها السياسي في إدارته الحكم في دولته. عرّف ميكيافللي الحاكم المثالي ووضح كيف يتمكن من الاستمرار في الحكم، من خلال تبرير الأعمال غير الأخلاقية للسيطرة على الحكم، وحذّر من أن قيام الحاكم بأعمال خيّرة كل الوقت من شأنه إفساح المجال للقوى الشريرة لأن تستلم الحكم بدلاً عنه.

رفض ميكيافللي الفكرة الفلسفية التقليدية التي مفادها أن الحكام ينبغي أن يتسموا بالفضيلة الأخلاقية، وأوصى الحاكم أن يسعى كي يكون مهيب الجانب بدلاً من أن يكون محبوباً من قبل رعيته. ودعا إلى أن يكون العنف والخداع أسمى مما هو حق وخير، وذلك عندما يتعلق الأمر بالسيطرة على الجماهير، لأن الإنسان من طبعه أن يؤذي الحاكم الخيّر إذا استطاع إلى ذلك سبيلا، ولكنه يكون حذراً من الاعتداء على الحاكم إذا كان مهيب الجانب، قوي الشكيمة.

ورغم ذلك فقد رأى ميكيافللي أنه لا ينبغي انخراط الحاكم في القساوة والبأس لأجل ذاتها، بل ينبغي ان يكون مستعداً للخداع والمراوغة والاستبداد متى استدعت الحاجة ذلك، وفي الوقت نفسه أن يبدو بمظهر صاحب الفضيلة المثلى، من حيث الرحمة والإنسانية والتدين. وبناء عليه فإن كل شيء مبرر في سبيل الوصول إلى الحكم وتأمين دولة قوية وآمنة ومتمتعة بالاستقلال الذاتي، كما استدعت الحال في إيطاليا في عصر النهضة الأوروبية.

كذلك رأى ميكيافللي أن الديمقراطية تصلح فقط للشعب المستنير، مثل سويسرا، أما في إيطاليا فالقوانين ضرورية لحفظ أخلاق الشعب وتنمية فضائله باستنباط قواعد للسلوك البشري عبر الاختبار والتجربة. والمجتمع الفاسد بحاجة إلى حكم ملكي مستبد لخلق القوانين وتنمية فضائل الشعب، فالقوة هي التي تؤسس لهذا النظام، أما القانون فيحفظ بقاء الدولة.

خلاصة القول إن الوصول إلى السلطة بأي وسيلة وأي ثمن هي نقطة الانطلاق، وبعد ذلك نلجأ إلى القانون؛ ومعيار الوصول إلى السلطة هو النجاح بغض النظر عن الشرعية والأخلاق، وفيما بعد يُصبح معيار المواطنة خدمة المجتمع وطاعة القوانين، بينما الحاكم يقع خارج القانون والأخلاق. أما الدين فهو خادم للسياسة وأداة تأديبية وحسب. وفيما يتعلق بنوعية الدين المطلوب، فهو دين الرومان الوثني بوصفه ديناً قومياً يضمن وحدة إيطاليا واتحادها.

مونتان Montaigne

(1592 – 1533)

ميشيل دي مونتان كاتب وفيلسوف فرنسي كانت لكتاباته أثراً مهماً في فكر فلاسفة لاحقين، مثل ديكارت وروسو. يختلف مونتان عن معاصريه من الفلاسفة باهتمامه أكثر بالعلاقة الإنسانية التي تجمع البشر في علاقاتهم مع العالم من حولهم، فيما اهتم الآخرون في تفسير علاقة الإنسان مع الله. كما انطلق من مسلمة أنه من المستحيل أن يكون الإنسان متأكداً من معارفه، فعلينا اجتناب القبول بأي مسلمات والعمل على نقدها عبر ممارسة واعية مستندة إلى قرارات حرة يصدرها الإنسان نفسه بعيدا عن أي مؤثرات خارجية.

رأى مونتان أن وظيفته كفيلسوف هي منع الناس من إصدار أحكام سريعة على الطبيعة والعلاقات الإنسانية، لأن هذه المعارف سوف تشوش الفهم الإنساني بدلاً من تعزيزه، فكان هدفه هو تحرير الفكر الإنساني من اليقين الزائف الذي يسقط فيه الإنسان. فمن واجب المفكر أن يوازن منطقياً بين الأفكار باستخدام حكمه الذاتي لاختبار مدى صحتها ومصداقيتها. لذلك رأى مونتان أن الفلسفة لا يمكن أن تكون علماً، بل هي طريقة للحياة في هذا العالم.

توصّل مونتان عبر الشك العقلاني الحر بأنه لا يوجد مبرر كي نعد البشر أفضل من الفصائل الأخرى، وينسحب الاعتقاد هذا على الثقافات المتنوعة، فليس هناك من مبرر أن تكون ثقافة ما أرقى من غيرها أو أن تكون جهة ما أقرب إلى الله من غيرها. وقد أثر مونتان على أفكار باسكال، حيث وضع كلاهما أسئلة فلسفية عامة، هي: كيف يمكن أن نفهم أنفسنا، والآخرين؟ ما معنى أن نكون أحراراً؟ وغيرها من الأفكار، كقول مونتان: التفلسف هو التعلم كيف نموت!

وقد ألهمت هذه الأفكار مفكرا مثل ديكارت، حيث قال إن الناس جميعهم متساوون من حيث العقل الذي يوحدهم جميعاً، فضلاً عن استخدام المنهج الشكي في تحصيل معارف يقينية. كذلك عدّه كلود ليفي شتراوس الأب الروحي للنسبية الثقافية Cultural Relativism. كما ألهم مونتان الفيلسوف الأميركي ريتشارد رورتي Richard Rorty في البحث عن وسائل جديدة لتحصيل المعارف والوصول إلى الحقيقة.

تشمل بعض الموضوعات الرئيسة لفلسفة مونتان ما يلي:

الشك: شكك مونتان في يقينية المعرفة ورفض التفكير العقائدي والفكر الاستبدادي.

اكتشاف الذات: شدد مونتان على أهمية معرفة الذات والوعي الذاتي كوسيلة لفهم حالة الإنسان.

الفردية: كان مونتان يثمن تفرد الأفراد وتنوعهم، ورفض فكرة الطبيعة البشرية العالمية.

الإنسانية: احتفل مونتان بالإنسانية وإمكانياتها، ورفض فكرة أن البشر مجرد أدوات لله.

التسامح: دعا مونتان إلى التسامح واحترام وجهات النظر وأساليب الحياة المختلفة.

الاعتدال: حث مونتان على تجنب التطرف، والسعي إلى حل وسط في كل شيء.

كتب أيضًا على نطاق واسع عن الأخلاق والتعليم وطبيعة المجتمع، وغالبًا ما يُنظر إلى كتاباته على أنها مقدمة مهمة للوجودية والإنسانية الحديثة.

Page ... of Montaigne (1533 – 1592)

فرانسيس بيكون Francis Bacon

(1626 – 1561)

يُعد بيكون من رواد التنوير والدعوة للفصل بين العلم واللاهوت، كما هو واضح من كتابه «أطلنتس الجديدة» الذي تخيل فيه مدينة فاضلة يتحقق فيها العدل والمساواة. وهو فيلسوف إنجليزي موسوعي ينسب له وضع العلم الاستقرائي الحديث الذي يقوم على الملاحظة والتجربة، كما تبدى من كتابه «الأورغانون الجديد» أي الأداة الجديدة، وهي الأداة التي تحدد منهج البحث التجريبي في الملاحظة وتدوين المعلومات وترتيبها، حيث رفض ما لا يتوافق مع الظاهرة المدروسة. وأخيرا يتم الوصول إلى نتائج وفرضيات عامّة، ولكن بعد تكرار التجارب بالقدر الكافي.

حارب بيكون أصنام العقل، أو أوهام العقل، ومنها: أوهام القبيلة، وهي معتقدات عامة لدى كل الناس، والتي تسعى إلى تبسيط الأمور؛ كما حارب أوهام الكهف المتعلقة بخصوصية كل فرد من حيث تركيز الإنسان على أوجه الشبه أو أوجه الاختلاف مع غيره. أما أوهام السوق التي رفضها أيضا فهي مرتبطة بقضايا لغوية، أو هي إساءَة استخدام اللغة وأثر ذلك على تحصيل المعرفة. وأخيراً، رفض أوهام المسرح المرتبطة بالنظم الفلسفية الخاطئة التي تؤثر على الاعتقاد، وبالتالي تعوق التفكير الحر.

مدح مؤسسو الجمعية العلمية في لندن أعمال بيكون الموسوعية في تصنيف العلوم، كما قام الفيلسوف الألماني كانط بإهداء كتابه «نقد العقل المحض» لفرانسيس بيكون. وترتبط بفرانسيس بيكون مقولة «القوة للسيطرة على الطبيعة»، فقد أدرك بيكون القدرات الكامنة في العلم للسيطرة على الظواهر الطبيعية وتسخيرها لخدمة الإنسان، وهي نزعة براغماتية نفعية رافقت عصر ظهور العلم والمنهج التجريبي في

بريطانيا. ولكن في مجال الأخلاق ميز بين الشعور بالواجب تجاه المجاميع الإنسانية، وعدّها مسألة أخلاقية، وبين الشعور بالواجب تجاه الله؛ وعدّها مسألة دينية خالصة. وله مقولة مفادها أن القليل من الفلسفة تسوق الإنسان صوب الإلحاد، إنما التعمق في الفلسفة فيقود الإنسان إلى التدين.

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة فرانسيس بيكون تقدم المعرفة العلمية من خلال الملاحظة والتجريب عبر الآلة الجديدة للعلم، وهو الاستقراء، وأكد أهمية التطبيق العملي للمعرفة، ورفض الطريقة الأرسطية العقلية التقليدية في التفكير. كما أكد على أهمية الاستقراء والمنهج العلمي، وكذلك فكرة أن «المعرفة قوة» ويمكن استخدامها لتحسين حالة الإنسان في مواجهة الطبيعة.

ديكارت Descartes

(1650 – 1596)

رينيه ديكارت فيلسوف فرنسي عادة ما يُشار إليه كأب للفلسفة الحديثة. انطلق من مسلمة «إنني أفكر، إذن أنا موجود»، وهي مقولة معروفة بالكوجيتو، وعدها المعرفة الوحيدة الذي يمكن القول بأنها أكيدة، وأن جميع الأشياء التي نتصورها تصوراً واضحاً جداً ومتميزاً جداً هي كلها معارف صحيحة. أي أنه شكك في المعارف القديمة كلها وسعى لإنشاء المعرفة على قاعدة من الشك المنهجي الذي يلتزم بقواعد واضحة ومتسلسلة على نحو منهج الاستدلال في الرياضيات.

رفض ديكارت المعارف التي نستمدها من الحواس لأنها تقوم على خداعنا باستمرار، ربما تحت إشراف شيطان ماكر يسعى دوماً لخداع البشر. وهكذا تأسست المدرسة الفلسفية العقلانية الحديثة التي تعد العقل المصدر الوحيد الموثوق به للمعرفة اليقينية.

وقواعد المنهج عند ديكارت تبدأ من قاعدة البداهة، أي ألا أتلقى شيئاً من المعارف على أنه حق إلا ما بدا منه واضحاً ومتميزاً أمام العقل؛ ثم قاعدة البساطة، أي بتقسيم الأفكار إلى قضايا بسيطة وتطبيق الحدس عليها؛ ثم قاعدة التركيب والترتيب، وذلك بالابتداء من حقيقة بسيطة يقينية والانطلاق منها عبر التركيب إلى قضايا أكثر تعقيداً. وأخيراً، قاعدة الإحصاء، أي القيام بإحصاءات ومراجعات حتى لا نغفل عن شيء من جوانب الموضوع. وهو منهج العلم الحديث.

عُرف ديكارت في زمانه كرياضي وَمهندس بارز، ومطوّر لنظرية جديدة في الفيزياء، أو في الطبيعة التي تشتمل على الأشياء الحية، كما وضع رؤية في ما وراء الطبيعة. وكان يُشار إليه أيضاً لوضعه نظرية

تتمثل في أن أجساد الحيوانات ميكانيكية لا روح فيها. والميتافيزيقا عنده هي أشد العلوم يقيناً بفعل الطريق الذي يسلكه الذهن في طلبها عبر الحدس البديهي (الرؤية العقلية المباشرة) والاستنباط العقلي؛ ويتجلى حضور الله فينا عبر ما نستشعره من حاجة دائمة إلى بلوغ درب الكمال.

فصل ديكارت بين عالم الروح وعالم المادة فصلاً حاسماً، فالروح أو النفس جوهر يتميز بالتفكير، أما الجسد، أو المادة، فيتميز بالامتداد، وله طول وعرض وارتفاع، وبالتالي فهما مختلفان لا يمتزج أحدهما بالآخر انفصال الزيت عن الماء. وهذا تفسير لم يقبله الفلاسفة الماديين الذين أتوا من بعده، حيث النفس أيضاً مادية تموت بفناء الجسد. وهكذا استبعد ديفيد هيوم، مثلاً، مفهوم الجوهر، فالنفس عند هيوم أصبحت مجموعة من الظواهر والعلاقات الباطنية. وهكذا أسهم هذا الفصل الديكارتي في فتح الباب أمام العلم الصاعد في القرن السابع عشر كي يعمل في مضمار المادة بعيداً عن دائرة الروح التي كانت تحتكرها الكنيسة آيدولوجياً.

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة رينيه ديكارت أهمية الشك المنهجي في السعي وراء المعرفة، والتمييز بين العقل والجسد، وفكرة أن المعرفة يمكن اكتسابها من خلال العقل والحدس. اشتهر بمقولة «أنا أفكر، إذن أنا موجود»، وهي أساس فلسفته ومفادها أن الشيء الوحيد الذي يمكن معرفته على وجه اليقين هو وجود الذات الفردية. كما أكد على أهمية استخدام العقل في فهم العالم وطبيعة المعرفة. بالإضافة إلى ذلك، فإن ديكارت له مساهمات كبيرة في مجال نظرية المعرفة، والميتافيزيقا، وثنائية العقل والجسد، ومنهجية العلم.

توماس هوبز Thomas Hobbes

(1679 – 1588)

فيلسوف مادي إنجليزي. ولد سنة هجوم البحرية الإسبانية (الأرمادا) على إنجلترا عام 1588. درس الفلسفة في جامعة أكسفورد، وأصبح سكرتيراً لدى فرنسيس بيكون، ثم اشتغل معلماً لأمير ويلز الذي اعتلى عرش إنجلترا فيما بعد باسم الملك شارل الثاني. لم يتنازل عن أفكاره المادية رغم اصطدامه مع البرلمان واتهام نظراته الفلسفية على أنها سبب الطاعون والحريق الكبير الذي اندلع في العاصمة لندن عام 1666. ويُعد هوبز من أعظم فلاسفة السياسة في التاريخ الحديث.

ظن هوبز أن العالم كله يتألف من مادة، ويتكون من ذرات صغيرة غير مرئية، وأنه يمكن تفسير الحركة والتغير عبر شكل هذه الذرات وحركتها. فالعالم عبارة عن آلة ضخمة، تشمل جميع الأشياء بما في ذلك الإنسان، وتتحرك بميكانيكية ذاتية خاضعة لقانون السببية. والأشياء الموجودة هي ما له طول وعرض وارتفاع، وما عدا ذلك من الأشياء غير المرئية والمحسوسة كالأفكار والمعتقدات الدينية لا وجود لها على الإطلاق، فإنها لا تعدو عن كونها مجرد وهم.

تحدث هوبز عن الحالة الطبيعية للإنسان التي تدفعه غرائزه لتحقيق رغباته وحاجاته المختلفة، ومن هنا تأتي حالة الحرب بين الإنسان وأخيه الإنسان كحالة طبيعية في المجتمعات الإنسانية. والحل عنده هو إقامة عقد اجتماعي بين الإنسان والدولة، حيث يتنازل الفرد عن حقوقه لصالح الدولة التي يناط بها مهمة النظام والحماية، حتى لو استخدمت الدولة أو الملك القوة المفرطة ضد الشعب. وشبّه الدولة بالتنين التوراتي الذي يدير شؤون الدولة حاملا السيف في احدى يديه، فيما يحمل الكتاب المقدس باليد الأخرى ليدير الشؤون الأخلاقية وفقاً للقواعد الدينية

المتبعة في التعاليم التقليدية.

آمن هوبز أن الدولة من صنع الإنسان وصياغته، فقد أراد أن يصل بالسياسة إلى يقين الرياضيات، فالعقل هو الذي يحكم في النظام السياسي أيضا. وطالما أن قوانين الطبيعة عقلانية، فإن الإنسان بوصفه جزءاً من الطبيعة فلا بد أن تحكمه قوانين عقلانية بالضرورة. إذن الحكم للعقل في بناء الدولة.

أما العقد الاجتماعي فضروري بسبب تساوي الناس (رغم تفاوت العقل والرغبات) ولأنهم غير قادرين على إقامة مجتمع طيب ومنظم كمجتمع النحل. ويتم ذلك بالتنازل الواعي المتبادل في الحقوق لجهة الحكومة التي تقوم على توحّد الإرادات الفردية في إرادة واحدة (هي الدولة) بحيث تضمن الحق الطبيعي للإنسان (حقه في الحياة والملكية.. إلخ)، ولا يجوز نقض العقد إلا بموافقة السيد (الحاكم)؛ وهكذا أعطى هوبز الدولة سلطة استبدادية، وبات الملك فوق القانون والعقد الاجتماعي، أما واجباته فإنما هي تجاه الله وتجاه ضميره فقط. أما الدين فهو خادم للملكية، فيما يقع التفسير الديني بيد الملكية فقط كي لا تتنوع المذاهب وتتعدد الولاءات.

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة توماس هوبز فكرة «حالة الطبيعة» و«العقد الاجتماعي»، والحاجة إلى حكومة قوية للحفاظ على النظام والاستقرار، وفكرة أن البشر بطبيعتهم أنانيون وعنيفون، وأن مفتاح النظام الاجتماعي هو إخضاع رغبات الفرد لإرادة صاحب السيادة.

وكان يعتقد أنه بدون حكومة قوية للحفاظ على النظام، سوف يكون المجتمع في حالة حرب وفوضى مستمرّة، وأن الأفراد سيضطرون إلى القيام بكل ما هو ضروري للحفاظ على حياتهم. لتجنب ذلك، اقترح فكرة العقد الاجتماعي، حيث يتنازل الأفراد عن بعض حقوقهم لحاكم

ذي سيادة في مقابل الحماية والأمن. كما أكد على أهمية العقل والمنهج العلمي في فهم العالم ودور الطبيعة البشرية في تشكيل المجتمع.

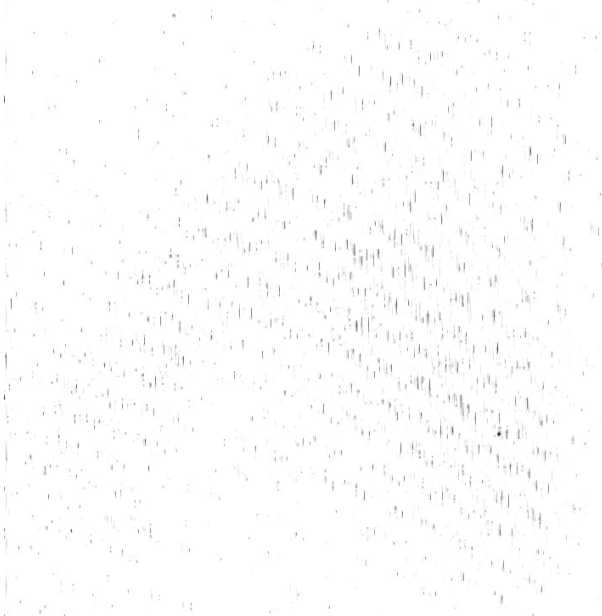

جون لوك John Locke

(1704 – 1632)

طبيب وفيلسوف مادي إنجليزي، ومستشار سياسي ملكي. درس في جامعة أكسفورد ورفض الأفكار الفطرية في الإنسان، كما اشتهر بمناداته بالتسامح الديني في عصر كان الاقتتال الكاثوليكي البروتستانتي في المسيحية على أشده. ويُعد جون لوك من مؤسسي التيار التجريبي، كما دعا إلى تأسيس عقد اجتماعي بين المواطنين والدولة، مع الاحتفاظ بحق المواطنين بالثورة على الحكومة والسيد إذا لم تتحقق مطالبهم المشروعة.

سعى جون لوك لتعريف حدود الفهم الإنساني وتحديد أي المعارف يصلح العقل البشري للتعامل معها، وقد اتفق معه فلاسفة كثر في هذا البحث المعرفي، مثل هيوم وكانط وشوبنهور وغيرهم. وتوصل إلى أن العقل يولد صفحة بيضاء تنطبع عليها المعارف بالتجربة عبر الحواس والتجارب. وكانت النتائج المترتبة على ذلك مذهلة، فولادة العقل البشري صفحة بيضاء لدى البشر كلهم يستدعي القول إن البشر ولدوا متساوين. واستدعى ذلك القول إن التعليم هي الوسيلة التي يمكن من خلالها تحرير البشر من الاستعلاء والهيمنة التي يفرضها غيرهم على حياتهم السياسية.

اتفق جون لوك مع هوبز في أن نقطة البداية هي الحالة الطبيعية للبشرية، ولكنهم اختلفوا بما يحدث بعد ذلك، ففيما رأى هوبز أن المواطنين لا يحق لهم الثورة على الدولة، رأى جون لوك أن ذلك ممكناً طالما أن السيادة للمواطنين، وطالما أن الدولة أخلّت بشروط العقد الاجتماعي. وهكذا أسقط لوك الحق الإلهي للملوك، فكانت لفلسفته السياسية دوراً مهماً في التأسيس للثورتين الفرنسية والأمريكية، وفتح

باب التسامح الديني بين العقائد المسيحية المتنوعة التي شاعت في تلك الفترة، وخاصة بين البروتستانت والكاثوليك.

يولد الناس أحرارا وعقولهم ما تزال صفحة بيضاء، أي لا توجد فيها أفكار فطرية، وعليه فإن الناس متساوون. ولحماية الحريات والملكية الخاصة فإن وجود الدولة ضروري، وشرعيتها مستمدة من الشعب الذي ينضم أفراده إليها بحرية، أما من يعترض منهم فله الحق في الهجرة (مثلا، إلى المستعمرات الأمريكية الناشئة في شمالي أميركا).

وللشعب الحق في إزالة الملك إذا لم يحافظ على الاستقرار، ويحقق طموحات الشعب ويحسّن من حياته، وذلك عبر تطبيق القوانين التي تسنها جمعية وطنية (المؤسسة أو السلطة التشريعية)؛ فيما يُعهد بتنفيذ القوانين إلى أشخاص مختلفين عن الذين سنوا القوانين (المؤسسة أو السلطة التنفيذية) لضمان الاستقلالية بين السلطات ولضمان النزاهة في الحكم. وهكذا دعا لوك إلى نظام ملكي دستوري ومنع الجمع بين السلطات (التشريعية والتنفيذية والاتحادية الفدرالية) وذلك لضمان العدالة والحرية الفردية.

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة جون لوك فكرة الحقوق الطبيعية، ومفهوم «حالة الطبيعة»، والعقد الاجتماعي، والقيود المفروضة على سلطة الحكومة. كان يعتقد أن جميع الأفراد لديهم حقوق طبيعية في الحياة والحرية والملكية، وأن هذه الحقوق ليست ممنوحة من قبل الحكومة ولكنها متأصلة في الإنسان. كما اقترح فكرة «حالة الطبيعة» التي يعيش فيها الأفراد في حالة من الحرية والمساواة قبل أن يجتمعوا لتشكيل حكومة من خلال عقد اجتماعي.

كان لوك يعتقد أن الغرض من الحكومة هو حماية هذه الحقوق الطبيعية، وأنه إذا فشلت الحكومة في القيام بذلك، فمن حقّ الشعب

إسقاطها. كما شدد على أهمية الحرية الفردية وحماية الملكية الخاصة، في سياق صعود البرجوازية، واعتقد أن سلطة الحكومة يجب أن تكون محدودة ومقسمة بين مختلف الفروع لمنع الاستبداد. بالإضافة إلى ذلك، فإن لدى لوك مساهمات كبيرة في مجال نظرية المعرفة، ونظرية الهوية الشخصية والفلسفة السياسية.

ليبنتز Leibniz

(1716 – 1646)

غوتفريد فيلهيلم ليبنتز فيلسوف ألماني من أوائل الفلاسفة الذين درسوا الفلسفة في الجامعة. اشتغل ليبنتز بالميتافيزيقا وشكّل فتحاً في المنطق الرياضي، ويشار إليه أيضاً كمبدع لفكرة «السبب الكافي» الذي يقوم على مبدأ أنه لا يحدث شيء في الطبيعة من دون سبب كافٍ. كما أطلق فكرة الموناد ات اللامتناهية العدد التي تتشكل منها الطبيعة والحياة برمتها، ويُعد، إلى جانب إسحق نيوتن، من مؤسسي علم التفاضل والتكامل، حيث اكتشف الاثنان هذا العلم الجديد في الفترة نفسها وبشكل مستقل عن الآخر، كما طوّر المفهوم الحديث لحفظ الطاقة، واخترع أول آلة حاسبة ميكانيكية، وطوّر نظام الرقم الثنائي الذي تقوم عليه الحواسيب المعاصرة.

بخصوص نظرية المعرفة عنده، فقد رفض معتقدات ديكارت التي تقول بالأفكار الفطرية، كما رفض أفكار جون لوك التي تقول بأن الأفكار تأتي مع التجربة وتطبع على عقل ذي صفحة بيضاء صافية، لكنه جمع بينهما، فالمعارف تكون سابحة في اللاشعور وتبقى غامضة حتى تدركها التجربة فتزيل الغموض من حولها وتتجه بها صوب الوضوح في الإدراك، أي أنها تخرج من حال الوجود بالقوة إلى حال الوجود بالفعل.

كان ليبنتز شديد الإيمان بالله، فاعتقد أن عالمنا هو العالم الأكمل الذي خلقه الله بوصفه علة الأشياء جميعاً، ولذلك فقد سخر منه الفيلسوف الفرنسي فولتير قائلاً: لو كان هذا العالم أفضل العوالم الممكنة لما كانت أحوال الناس بائسة إلى هذا الحد. وقد رد ليبنتز قائلاً: إن وجود الشر في العالم لا يناقض فكرة أفضل العوالم وأكملها لأنه لولا البؤس والألم لما وُجد الخير، فالمرارة القليلة غالباً ما تكون ألذ مذاقاً من السكر الحلو؛

فالشر وجد أصلا كي يكون سلماً للصعود نحو الكمال الأسمى. ولولا وجود الشر لكانت الحياة خيراً محضاً، فكانت تقل عما هي الآن عليه كمالاً.

ويمكن القول إن الثورة العلمية التي اجتاحت أوروبا في تلك الفترة عبر أعمال غاليليو ونيوتن وغيرهما من العلماء أدت إلى إحداث ثورة داخل المثالية ذاتها وقامت بإثرائها، ومن هنا نجد المحاولات المتنوعة لإعادة صياغة المثالية وتقديمها بإشكال جديدة، مثل المثالية الذرية عند ليبنتز، والمثالية التجريبية عند باركلي، وفيما بعد المثالية الصورية عند كانط، والمثالية التاريخية عند هيجل.

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة ليبنيز مفهوم الأحاديات - الموناد، وفكرة الانسجام المسبق، والإيمان بإله عقلاني وخيّر. اشتهر بنظريته حول الكيانات الأحادية، وهي كيانات غير قابلة للتجزئة وغير قابلة للتدمير ويتشكل منها الكون، وبالتالي هي اللبنات الأساسية للواقع. كان يعتقد أن كلَ موناد يعكس الكون بطريقته الخاصة وأنهم جميعًا مرتبطون من خلال انسجام محدد مسبقًا، حيث يتم تحديد كل ما يحدث في الكون مسبقًا من قبل الله.

كان يؤمن أيضًا بإله عاقل وخيّر خلق أفضل عالم ممكن وأن كل ما يحدث في العالم له هدف. كما أكد على أهمية العقل والمنطق والأسلوب العلمي في فهم العالم. بالإضافة إلى ذلك، لدى ليبنتز مساهمات كبيرة في مجال الميتافيزيقيا والمنطق والرياضيات والفيزياء.

سبينوزا Spinoza

(1677 – 1732)

باروخ سبينوزا فيلسوف هولندي من أصل يهودي برتغالي، اتهم بالهرطقة وحرقت كتبه علناً رغم أنه قال إن الله موجود في كل مكان، وإن الله والكون هما وجهان لعملة واحدة. ويُعد سبينوزا من الفلاسفة العقلانيين الذين دعوا لكبح جماح العواطف عقلانياً وذلك لنشدان الفضيلة والسعادة. وفي كتابه «الأخلاق» شرح مذهبه الفلسفي، حيث رفض فكرة الفصل بين المادة والروح الديكارتية وتوصل إلى أن الإنسان قادر على إدراك بعده الفيزيائي أو امتداده، إلى جانب ادراكه البعد التفكيري لديه، والاثنان مترابطان متلازمان كحال الله والطبيعة (وهي فكرة مماثلة لفكر وحدة الوجود عند ابن عربي).

رفض سبينوزا فكرة وجود شيطان يشوش على معارف الانسان عبر الحواس، كما اقترح ديكارت، فما نعزوه للشيطان هو جهلنا بقانون السببية وسلسلة العلل والمعلولات. كذلك رفض فكرة الروح عند الإنسان، ورغم ذلك اعتقد أننا ندرك الكائن اللامتناهي من خلال الحدس العقلي. والله لا يكون كاملاً من دون العالم، فالعالم كامل وواقعي معاً، والعالم الواقعي ليس أقل كمالاً من الله لأنه جزء منه. وأحياناً يُدرك العالم كفكر (الله) وطوراً يُدرك كامتداد، لذلك لم يُعد سبينوزا الله ذلك الكائن المتعالي عن الطبيعة والبشر والمفارق له، وهكذا غدا الامتداد في المكان والزمان كيفية من كيفيات الجوهر.

وشكك سبينوزا في نسبة نصوص العهد القديم إلى أصحابها، ورفض فكرة «شعب الله المختار»، كما رفض المعجزات، وعد المسيح إنساناً اتجهت إرادته صوب الخير الأزلي، وميّز بين اللاهوت والمؤسسة الدينية، وأزال مشروعية الدين في الحكم. وفي الدولة رأى أن المجتمع السياسي

المنظم يحمي الإنسان من الفوضى، وأن قوانين العقل ينبغي أن تقف في مواجهة أهواء الإنسان وشهواته اللامحدودة. ولمّا رأى أن سلطة الطاغية لن تعمّر طويلاً ما لم تسترشد بالعقل فإنه نادى بدولة علمانية يتوافر فيها التسامح بحيث تسود حرية المذهب؛ ورغم ذلك فلا وجود للحرية في هذه الدولة لضرورة تفويض السلطة لجهة ما ذات سيادة مطلقة، وذلك حتى نضمن التسامح والعدل في المجتمع.

قال الفيلسوف الألماني هيجل إن فلسفة سبينوزا تنعطف بالفكر البشري الحديث إلى منحيين، فإما سبينوزا أو سقوط الفلسفة في العدم. أما نيتشه فاحتسبه من رواد انتقاد المنطق التعليلي الغائي الذي يفترض في كل حركة تاريخية مقصداً متعالياً. أما برغسون فقال إن الفيلسوف المبدع ينبغي أن ينطوي فكره على فلسفتي برغسون وسبينوزا، فيما اعتبر جيل دلوز أن سبينوزا أمير الفلاسفة، وعده فيورباخ «موسى المفكرين الأحرار والماديين المعاصرين»، أي من أعلام التنوير الراديكالي، لأنه رفض مزج الظواهر الخارقة للطبيعة مع العقل. لذلك بدأت مع سبينوزا الحداثة الفلسفية، وكان له تأثير كبير على الماديين الفرنسيين، وخاصة فيما يتعلق بمفهوم «الإرادة العامة» كما نجده عند ديدرو وهولباخ وروسو.

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة سبينوزا مفهوم الله والطبيعة كمادة واحدة متطابقة، وفكرة الحتمية ورفض الإرادة الحرة، والتأكيد على العقل والسعي وراء المعرفة. اشتهر بنظرته أن الله والطبيعة هما الشيء نفسه، وأن كل ما هو موجود هو جزء من الله. لقد رفض فكرة وجود إله شخصي، وبدلاً من ذلك، رأى الله على أنه مادة لا نهائية وأبدية وموجودة بالضرورة، وسبب كل الأشياء. بالإضافة إلى ذلك، فإن له مساهمات كبيرة في مجال الأخلاق والفلسفة السياسية واللاهوت. كما رفض الازدواجية التقليدية بين العقل والجسد واعتنق وجهة نظر أحادية للواقع.

باركلي Berkeley

(1685 – 1753)

جورج باركلي فيلسوف إيرلندي أسس المثالية المعرفية في الفلسفة، رافضاً وجود المادة خارج الذهن لأنها موضوع ذهني خالص، فالوجود هو مجرد حزمة من الإحساسات لا يوجد مستقلاً عن الإدراك البشري، وكثرة الأشياء في الكون تلزم وجود ذهن أو روح أزلية (الله) حتى تظل قائمة، فإدراك الله للكون يحفظ عليه وجوده. هكذا أعاد باركلي صياغة المثالية بما يتناسب مع التجريبية الحسية التي كانت مسيطرة على العلوم والفلسفة في بريطانيا خلال عصر باركلي في النصف الأول من القرن الثامن عشر، وكان من أهم الأعلام التي تأثرت بها آنذاك إسحق نيوتن وغاليليو غاليلي.

قصد باركلي من مذهبه تفنيد الفلسفات المادية التي شاعت في عصره، فعندما نثبت استحالة وجود المادة بشكل مستقل عن إدراكنا، فإننا بذلك نسهم في انهيار المادية، فما هو موجود وجودا حقيقيا هما فقط الروح والعقل. لذلك ينكر باركلي وجود الجوهر أو الصفات الأولية في الجسم كالامتداد (الطول والعرض والارتفاع) وجوداً مستقلاً. ولكن بما أن الصفات الثانوية، كلون الجسم مثلاً، لا يمكن فصلها عن الجسم الممتد، لأن كل جسم لابد أن يكون له لون، إذن فإن الصفات الأولية يجب أن تكون في الذهن طالما أن الذهن هو الذي يُدرك هذه الصفات، فهي غير موجودة بذاتها في معزل عن الأفكار البشرية.

Telegram:@mbooks90

وهكذا استخدم باركلي التأويل الأداتي لتصورات العلم كي لا تفقد المثالية مسوّغات وجودها، فقال إن نقط العالم الهندسية، والآنات الزمانية، والذرات غير المدركة حسيّاً، ما هي سوى أدوات نظرية تساعدنا على التعامل مع الواقع الكيفي المحسوس. وبناء عليه فقد أعاد باركلي

لله أهميته في العالم بعد أن سعت الفلسفات المادية إلى تهميشه في تفسير خلق العالم الطبيعي.

وانتظرت الفلسفة جيلاً كاملاً حتى ظهر ديفيد هيوم، الشكاك اللامع الذي قال إنّ سلاح باركلي ذو حدين، فلو كان وجود أي شيء يعتمد على كونه مدركاً، فمن أين يأتي وجود الله، ومَنْ الذي يحفظ وجوده؟ ألسنا نبدأ أساساً من التسليم بالإيمان بوجود الله أولاً؟

وهكذا وصلت فلسفة العصور الوسطى إلى أوجها وباتت تتساءل في حيرة ما إذا كانت التصورات البشرية للمادة ذات وجود حقيقي في العالم الواقع خارج الذهن وتلقي ظلال الشك عليه، وذلك في حين كانت العلوم الطبيعية تزدهر بتأثير من غاليليو ونيوتن وغاسندي وغيرهم، ومن خلال أعمالهم تعزز وجود العالم الخارجي المادي أيما تعزيز.

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة جورج باركلي رفض المادية، والتأكيد على أهمية الإدراك، ودور الله في تصور العالم. اشتهر بنظريته «اللامادية» أو «المثالية»، حيث جادل بأن الأشياء المادية لا توجد بشكل مستقل عن العقل، وأن الأشياء الوحيدة الموجودة حقًا هي الأفكار والتصورات فقط. كان يعتقد أن العالم المادي يعتمد على العقل وأن الأشياء موجودة فقط اذا تم إدراكها. كما أكد أهمية الإدراك ودور الله في إدراك العالم، بحجة أن الله هو مصدر كل الأفكار وأن كل ما يُدرك هو نتيجة مباشرة لنشاط الله. كما رفض التمييز الديكارتي بين العقل والجسد، واعتبر أن الأفكار هي الحقيقة الوحيدة. بالإضافة إلى ذلك، لدى بيركلي مساهمات مهمة في مجالي نظرية المعرفة وفلسفة الإدراك.

مونتسكيو Montesquieu

(1689 – 1755)

شارلز لويس مونتسكيو فيلسوف سياسي فرنسي حاول وضع فلسفة سياسية واجتماعية قابلة للتطبيق على نطاق واسع، وبحيث تكون فلسفة متصورة ضمن البيئتين الطبيعية والاجتماعية. فالأحوال الطبيعية، كالمناخ وأحوال الفنون والتجارة السائدة وما إلى ذلك، من شأنها التأثير في تكوين العقلية القومية والسياسية للشعوب.

عارض مونتسكيو الملكية بسبب أنها قوضت الحرية، وألغت القوى الوسيطة بين الملك والشعب، وجعلت القانون مطابقاً للإرادة الملكية. كما سعى إلى إعادة الاعتبار للنبلاء في عصره لتحقيق نوع من التوازن السياسي، وطالب بمشروع للحكم عبر مجالس للحكم بحيث تكون لامركزية الطابع.

وفي كتابه «روح القوانين» رأى أن النظام السياسي المقبول هو الذي يقبل التنوع والاختلاف، ويقوم على النسبية؛ أي يقوم على اختلاف الروابط بين الدستور والحكومة، وبين الآداب والعادات، وبين المناخ والدين والتجارة... إلخ، كما يقوم على الحتمية بأن الأشياء لها طبيعة خاصة وتحكمها علاقات ضرورية (نظرة علمية غاليلية في عصره)، وأخيراً تقوم على العقلانية، في مواجهة الجبرية والتجريبية؛ فالفكرة السامية عن القانون هي بمثابة تجسيد للعقل البشري في الواقع.

كذلك أقام التمييز بين الحكومات الجمهورية والملكية التي تقوم على أساس الطبيعة والمبدأ؛ فهناك جمهوريات ديمقراطية، منها ديمقراطية مباشرة (كحال حكم شعب أثينا لنفسه)، وديمقراطية تمثيلية (برلمانية)، ومبدأ الجمهورية الفضيلة، بمعنى حق المواطن في تقديم المصلحة

العامة على المصلحة الخاصة، وتتضمن الفضيلة: المساواة والبساطة. وهناك جمهوريات أرستقراطية حيث تكون السيادة لعدة أشخاص، وكلما اقتربت الارستقراطية من الديمقراطية كلما ازدادت كمالاً. وهناك الملكيات الديمقراطية – الارستقراطية حيث تكون هناك وساطة للشعب تتكون من رجال دين أو ارستقراط أو هيئة من القضاة تؤتمن على القوانين، وهناك الحكومات الملكية الاستبدادية التي يحكم فيها الملك وفق رغباته وإرادته وحسب.

نجح مونتسكيو في بناء علم سياسة قائم على الملاحظة والحتمية الجغرافية وليس على الحق الإلهي للملوك، وتوصل إلى نماذج مثالية للسياسة على مبدأ تجزأة السلطات: السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية، مع عدم الفصل التام بين السلطات الثلاث بل التوزيع المتوازن للسلطة لمنع التحول إلى دولة استبدادية شعبية.

وكان حذراً في أطروحاته لأنه عاش في بلد لم يعرف الحرية آنذاك، لذلك عرّف الحرية بأنها أم القوانين العادلة. وكان معجباً بالملكية البريطانية كنظام للحكم، واقتنع أن الحرية ممكنة حتى في الأنظمة الملكية طالما أدى كل شخص وظيفته المحددة. ورأى أن التوازن يتحقق بين مختلف الطبقات الحاكمة عبر الهيئات الوسيطة التي تتسم بفضيلة الاعتدال عند المشرّع، وذلك في ظل الدين الذي عدّه عامل تزيين وكبح اجتماعي، في ظل الإيمان بوجود الله.

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة مونتسكيو ما يلي:

فصل السلطات: اعتقد مونتسكيو أنه يجب تقسيم سلطة الحكومة بين مختلف الفروع، مثل الفروع التنفيذية وَالتشريعية والقضائية، من أجل منع أي فرع من أن يهيمن على الآخر.

الحكومة المحدودة: دعا مونتسكيو إلى حكومة محدودة صلاحياتها

تعمل ضمن حدود القانون، كوسيلة لحماية حقوق المواطنين وحرياتهم.

الحقوق الطبيعية: اعتقد مونتسكيو أن جميع الأفراد لديهم حقوق طبيعية معينة، مثل الحق في الحياة، والحرية، والملكية، التي يجب أن تحميها الحكومة.

روح القوانين: أشهر أعمال مونتسكيو، «روح القوانين»، وهو دراسة شاملة للقوانين والأنظمة السياسية للمجتمعات المختلفة، وكيفية ارتباطها بثقافة ومناخ تلك المجتمعات.

هيوم Hume

(1776-1711)

ديفيد هيوم يُعد آخر الفلاسفة التجريبين الإنجليز، وتُعدّ فلسفته هي التي أفاقت كانط من نومه الدغمائي، كما قال كانط نفسه. دخل الجامعة وهو في سن 11 سنة، ثم انتقل إلى فرنسا وعمل على كتابه «أطروحة في الطبيعة الإنسانية» الذي نشرت وهو في سن 28 سنة. رفض المعارف التي لا ترتكز على الملاحظة والتجربة، كذلك نفى وجود السببية وعدّها لا يمكن الوثوق بها، كقولنا أن كل البط لونه أبيض، وذلك إذا رأينا ذلك في الواقع عبر ملاحظتنا الشخصية، لماذا؟ لأن هذا استقراء ناقص ومماثل لاعتقادنا في السببية بأنه لابد أن ينجم عن علة ما معلولاً محدداً، ولكن ذلك غير واقعي، ويدخل في نطاق الامكان والعادة فقط.

فرغم عدم إمكاننا إثبات وجود الأشياء ولكن هناك علاقات فيما بينها، لذلك دعا إلى رفض أي نظام فكري لا يقوم على الملاحظة والتجربة، ودعاه ذلك إلى هجرة المعتقدات التقليدية القائمة على الميتافيزيقا. فلا وجود للعلاقة السببية، إنما نعلم عنها عبر العادة Habit، ومن خلال الخبرة والتجربة، على عكس الفلسفة التقليدية التي استندت على الفرضيات، ولذلك لم تحرز الفلسفة أي تقدم مقارنة بالعلم الحديث الذي تأسس على الملاحظة والتجربة، وفق مقولة إسحق نيوتن: «أنا لا أشتغل بالفرضيات».

إنّ النتائج التي نستخلصها من التجربة تتجاوز حدود الذاكرة والحواس وتؤكد لنا حقائق حصلت في أزمنة سحيقة. فمثلاً، يستنتج هيوم المدى الذي يمكن أن تذهب إليه ملاحظة آثارات بشرية، أو أطلال مبان عظيمة لحضارات سالفة في بلد صحراوي، وهو وجود سكان متحضرون في تلك الحقبة من الزمن. ولو لم يصادف المرء أية آثار أو

أطلال فمن المستحيل أن يقوم باستدلالات كتلك. وهكذا رفض هيوم أدوات الفلسفة القديمة التي تقوم على الفرضيات.

نقد الكثيرون آراء هيوم في رفض السببية، أي فكرة العلة والمعلول، إذ يقول بيران Biran إن المجهود العضلي حالة ممتازة لإدراك العلة والمعلول، فالمجهود العضلي المبذول يُحرك الجسم (المعلول)، وبدون المجهود لا توجد معرفة أو إدراك بالحالة الخاصة من أي نوع. وضرب غيره مَثل السكين وهي تقطع الخبز، أو المطرقة التي تدفع مسماراً في الخشب، وهكذا فإننا ندرك الفعل نفسه وندرك المفعول به مباشرة، فلا يقتصر الإدراك على انطباع حركتين متناسقتين متتاليتين زمانياً ومكانياً. وماذا نقول في طبيب ينكر المعلومات النظرية التي في حوزته عن جسم الإنسان ويثق بالخبرة وحدها؟

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة ديفيد هيوم ما يلي:

التجريبية: يعتقد هيوم أن كل المعرفة تأتي من التجربة، وهذا العقل وحده غير قادر على توفير المعرفة حول العالم.

الشك: كان هيوم متشككًا في المعتقدات الميتافيزيقية والدينية التقليدية، وجادل بأن معظم الادعاءات حول طبيعة الواقع لا تدعمها الأدلة التجريبية.

السببية: تُعرف فلسفة هيوم بتركيزه على فكرة السببية، والفكرة القائلة بأن علاقات السبب والنتيجة ليست بالضرورة روابط ضرورية بل هي عادة وتوقع في ذهن المراقب.

الذات: جادل هيوم بأن الذات الانسانية ليست كيانًا واحدًا موحدًا، بل هي مجموعة من التصورات والتجارب التي تتغير باستمرار.

الأخلاق: اقترح هيوم نظرية أخلاقية مبنية على فكرة التعاطف

والقدرة على فهم مشاعر الآخرين والاستجابة لها. كان يعتقد أن الأفعال يجب تقييمها بناءً على المتعة أو الألم الناتج عنها، وليس على أساس مفاهيم الصواب والخطأ.

فولتير Voltaire

(1778 – 1694)

فرانسوا- ماري أرويت، الملقب فولتير، هو فيلسوف فرنسي من كبار مفكري عصر التنوير الأوروبي، تأثر بفلسفة جون لوك وأعمال إسحق نيوتن، ونادى بالعقل كوسيلة للمعرفة في مقابل الجهل، وعدم التسامح، والتعصب الأعمى، والمعتقدات الدينية الخرافية. نقد بشدة أفكار ليبنتز وانحاز إلى جانب نيوتن في مواجهة أفكار ديكارت، فنادى بالمنهج التجريبي ودعا لحرية التعبير في عصر سيطرت فيه طبقة اجتماعية دوغمائية على الوعي العام.

دارت فلسفة فولتير حول حق الجميع في الحرية الشخصية، ومن أجل ذلك رفض الدغمائية والتمسك بالأفكار السائدة، ومن أجل ذلك أيضاً دافع عن المذهب التجريبي الذي افترض أن عقل الإنسان يولد صفحة بيضاء، ولذلك يولد الناس متساوين طالما أن عقولهم تكون بيضاء صافية. ونادى بضرورة تقييم أي فلسفة على أساس أنها تحدث تغييراً في المجتمع، وهي فكرة اعتمد عليها كارل ماركس كثيراً على أساس أن مهمة الفلسفة هي تغيير العالم.

كما رسّخت فكرة فولتير في الحرية أخلاقه المتعلقة بالمتعة، وهي سمة رئيسة لفلسفة فولتير التنويرية التي عبّر عنها في شعره، وهو النوع الذي انعكس في الإثارة الجنسية والتلميحات الغرائزية للثقافة الحية المعاشة، وهكذا أسهم فولتير في التحرر الفلسفي والدعوة لمذهب المتعة من خلال احتفاله بالحرية الأخلاقية عبر الحرية الجنسية. وبذلك أصبح فولتير قوة رائدة في التعبير عن فلسفة التنوير من خلال الأخلاق الراسخة في التقييم الإيجابي للمتعة الشخصية الجسدية، ولذلك أخذ موقفاً صارماً من الزهد المسيحي التقليدي، وخاصة العزوبية الكهنوتية

ونكران الذات الجسدي.

قاوم فولتير محاولات في عصره لربط الميتافيزيقا بالفيزياء من خلال دمج فلسفة ليبنتز بعلوم نيوتن في الطبيعة، واتهم ليبنتز بالتورط في جعل الميتافيزيقا أساساً للفيزياء، وخاصة عبر فلسفته في المونادات الأثيرية والروحانية. واعتبر أنه عَبر هذه المحاولات يقوم الفكر الميتافيزيقي بحجب عمل عالِم الفيزياء، وبهذا عزز فولتير إرث العلم الوضعي وأسس التقليد الفلسفي الذي يمتد إلى أوغست كونت وتشارلز داروين وكارل بوبر وريتشارد دوكينز وغيرهم.

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة فولتير ما يلي:

التسامح الديني: كان فولتير مدافعًا قويًا عن التسامح الديني وحرية الفكر، وانتقد الكنيسة الكاثوليكية لاضطهاد الأقليات الدينية.

العقل والحرية: آمن فولتير بقوة العقل ودافع عن الحرية الفردية، بما في ذلك حرية التعبير وحرية الصحافة.

حقوق الإنسان: كان فولتير مؤيدًا قويًا لحقوق الإنسان، وكان يعتقد أن جميع الأفراد يجب أن يتمتعوا بحقوق وفرص متساوية، بغض النظر عن طبقتهم الاجتماعية أو دينهم.

الله: آمن فولتير بإله خلق الكون، لكنه لا يتدخل في أعمال العالم اليومية. كما رفض فكرة الوحي وشدد على أهمية العقل في فهم الله.

النقد الاجتماعي: انتقد فولتير المؤسسات الاجتماعية والسياسية في عصره، سيما النظام الملكي والنبلاء، ودعا إلى إصلاحات لتحقيق المزيد من المساواة والعدالة في المجتمع.

روسو Rousseau

(1712 – 1778)

جان جاك روسو فيلسوف سياسي فرنسي نادى بالديمقراطية في زمن لم تكتمل الشروط التاريخية لوجودها. ويُعد كتابه «العقد الاجتماعي» من الوثائق المهمة في تاريخ الفلسفة السياسية. تصور روسو أن حالة الطبيعة ليست حرباً عامة بين الكل كما تصورها توماس هوبز من قبله، بل هي حالة تشتت وعزلة فرضتها المُلكية الخاصة التي نجمت عن اكتشاف التعدين والزراعة، والتي خَلقت حالة من انعدام المساواة والتنافس والبؤس وانعدام النظام؛ ومن هنا يأتي العقد الاجتماعي تجسيداً للرغبة في الوحدة الاجتماعية وربط المصلحة الخاصة بالإرادة العامة.

الشعب الحر يُطيع القوانين، فالفرد ليس حراً إلا ضمن المجتمع ومن خلاله. والحرية تقترن بالمساواة وتجسد التضامن، فالحرية طبيعة جماعية مشاعية قائمة على تأسيس العقد الاجتماعي بناء على اتفاق الأفراد بهدف تحقيق سيادة المجتمع المطلقة، حيث تخضع إرادة الأقلية للإرادة العامة ذات السيادة في المجتمع. وسيادة الارادة العامة معصومة لأنها دوماً تتجه نحو المنفعة العامة، وهي أيضاً مطلقة.

النواب في هذه الجمهورية ليسوا ممثلين عن الشعب إنما مندوبون لهم، وتتضمن مسؤوليتهم إعداد النصوص فقط، والشعب هو الذي يوافق عليها عبر الاقتراع العام. وقال روسو بوجوب الدمج بين السلطة المدنية والسلطة الدينية كي تتحقق الوحدة السياسية والاجتماعية. ولا يجوز فرض نموذج واحد للحكم لأن كل حالة للدولة لها خصوصية بيئية معيشة، فهناك حكم جمهوري، وآخر ملكي جمهوري، وثالث أرستقراطي عندما يحكم الشعب مجموعة صغيرة من الأكثر حكمة.

ويهتم روسو بمراعاة الخصوصيات القومية في الدولة، ويؤسس لذلك بإنجاز إصلاحات أخلاقية سابقة على الإصلاح السياسي، فقبل تحرير الرق يجب تأهيلهم للحرية. والدولة الحرة هي تلك الدولة التي تحقق اكتفاءً ذاتياً على الصعيد الاقتصادي، فلا تخاف من أحد ولا تحتاج إلى أحد من خارجها؛ ويتحقق ذلك عبر نظام زراعي مزدهر ومنظّم بحيث لا تقبل الدولة الإفراط في الثراء أو الإفراط في الفقر.

ورغم ذلك لم يرضَ الكثيرون من المفكرين الغربيين بالتضحية بالفرد تماماً من أجل الدولة، بينما انتقلت بعض أفكاره حول تقييد الحرية الفردية واستبدالها بالإذعان للإرادة العامة (السيادة الشعبية) إلى عدد من المفكرين من أمثال إيمانويل كانط، على سبيل المثال.

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة جان جاك روسو ما يلي:

نظرية العقد الاجتماعي: اقترح روسو فكرة «العقد الاجتماعي» بين الأفراد والحكومة، حيث يتخلى الأفراد عن بعض الحرية الفردية مقابل الحماية والأمن التي توفرها الحكومة.

الإرادة العامة: يعتقد روسو أن الإرادة العامة للشعب هي دائما على حق وأن الحكومة يجب أن تعكس وتنفذ الإرادة العامة.

الحقوق الطبيعية: آمن روسو بالحقوق الطبيعية للأفراد، مثل الحق في الحياة والحرية والملكية، وأن هذه الحقوق يجب أن تحميها الحكومة.

المتوحش النبيل: يشير مفهوم روسو «المتوحش النبيل» إلى فكرة أن البشر في حالة الطبيعة هم في الأساس صالحون وأن الفساد وعدم المساواة في المجتمع الحديث هو نتيجةَ لتطور الحضارة.

المساواة السياسية: آمن روسو بالمساواة السياسية وفكرةِ أن كل المواطنين يجب أن يكون لهم رأيا متساويا في الحكومة والقوانين التي

تحكمهم.

آدم سميث Adam Smith

(1790 – 1723)

اقتصادي وفيلسوف اسكتلندي يُعد أباً للرأسمالية الحديثة بدعوته إلى اقتصاد السوق الحر وتأسيسه لقواعد عصر التنوير الاقتصادية؛ وكان كتابه «ثروة الأمم» بحثاً في فوائد التجارة الحرة والمنافسة الرأسمالية على صعيد عالمي، وقد أسهم في وضع الأسس الفلسفية للتوسع البريطاني الهائل في الاقتصاد والصناعة خلال القرن التاسع عشر.

وكتب سميث أيضاً «نظرية المشاعر الأخلاقية» الذي أصبح مؤلفاً شهيراً فيما بعد، ووضع فيه الأسس الطبيعية التي تتحكم بالأخلاقيات الإنسانية وكيفية معرفتها. واقترح أن الإنسان يولد بمشاعر أخلاقية فطرية، كما اقترح أن الناس يولدون بأفكار فطرية عن الجمال، والانسجام، إلخ. ولكن الإنسان الأناني بطبعه يضع صلب اهتمامه في ثروات الآخرين. كما اعتقد سميث أنه لا يمكن أن يزدهر أي مجتمع إذا كان جل أعضاء هذا المجتمع من الفقراء والبؤساء، لذلك كان لا بد من معالجة هذا الأمر بشكل مستدام يُبقي على أحوال الناس مزدهرة بشكل مقبول.

هاجم آدم سميث النظام المركنتيلي (التجاري) البريطاني الذي كان يميل إلى الاعتقاد بأن ثروة الأمم تتمثل في مجموع البضائع والنقد الموجودة داخل حدودها في لحظة ما. إذ قال إن الأيادي العاملة هي التي تخلق الثروة، وبالتالي فإن التجارة الحرة ضرورية لتراكم الثروة الناجمة عن العمالة. كذلك فإن زيادة رقعة التجارة الحرة بين الدول تزيد من الثروة زيادة مضطردة.

ويصور سميث رغبات الإنسان وأهدافه بوصفها أكثر غموضاً مما

اعتقده معظم مفكري عصر التنوير الآخرين، ويفترض أن مسار التاريخ غير معروف مسبقاً، أي لا يمكن التنبؤ به، لذلك فمن غير المجدي أن يحاول السياسيون تحديد التطور المستقبلي لمجتمعاتهم، ومن الأفضل اقتصار جهودهم وأنشطتهم على حماية الحرية الفردية ضد العنف، وذلك لإقامة العدل بين الناس.

كما دأب آدم سميث على تفسير طبيعة الحكم الأخلاقي وتطوره تاريخيا تفسيرا واقعيا، ويُعد تفسيره نموذجاً للأرسطية الحديثة في الأخلاق، إذ يُبرز أهمية الخيال للتطور الأخلاقي الرامي إلى السعادة (الخير) القائمة على فضيلة الأخلاق وفضيلة المعرفة.

إن ثراء أفكار سميث ومعقوليتها أكسباه مكانة بارزة بين أهم الفلاسفة الأخلاقيين والسياسيين المعاصرين، فضلاً عن أنه قضى على مخلفات الفكر الإقطاعي والوسيط في الاقتصاد السياسي الناشئ على نحو ما فعل ديفيد هيوم في الفكر الفلسفي، حين قضى على فضائل النساك ورجال الدين عموماً، مثل التكفير، وإنكار الذات، وقهر الجسد، والعزلة، والتوحد، وما إلى ذلك.

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة آدم سميث ما يلي:

الليبرالية الاقتصادية: يعتبر سميث أبو علم الاقتصاد الحديث، وشكلت أفكاره حول الليبرالية الاقتصادية، كما حددها كتابه «ثروة الأمم»، أساس علم الاقتصاد الكلاسيكي. كان يؤمن بالأسواق الحرة والحد الأدنى من التدخل الحكومي في الشؤون الاقتصادية. واعتقد سميث أن تقسيم العمل، حيث يتخصص الأفراد في مهام محددة، يؤدي إلى زيادة الإنتاجية والنمو الاقتصادي.

اليد الخفية: اقترح سميث مفهوم «اليد الخفية»، وهي الفكرة القائلة بأن المصلحة الذاتية والمنافسة في اقتصاد السوق يؤديان إلى

الاستعمال الأكثر كفاءة للموارد، وأن الاقتصاد سينظم نفسه بشكل طبيعي إذا تُرك لآلياته الخاصة.

الطبيعة البشرية: اعتقد سميث أن الطبيعة البشرية هي في الأساس مصلحة ذاتية، لكن هذه المصلحة الذاتية يمكن أن تؤدي إلى تحسين المجتمع ككل. وفي «نظرية المشاعر الأخلاقية» يستكشف سميث طبيعة السلوك الأخلاقي ومشاعر التعاطف التي لدى البشر تجاه بعضهم البعض، والتي رأى أنها ضرورية كي يعمل المجتمع.

كانط Kant

(1804 – 1724)

يشار إلى الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط بوصفه الأكثر تأثيراً منذ الفيلسوف الإغريقي أرسطو، وخاصة فيما يتعلق بأعماله الميتافيزيقية والمعرفية والأخلاقية وعلم الجمال، حيث ترك أثره في أغلب الاتجاهات الفكرية اللاحقة، ويُعد كانط أول من بدأ تقليد الجمع بين مهمة الفيلسوف وكرسي أستاذ الجامعة.

سعى كانط لإثبات أن قوانين الطبيعة والقوانين الأخلاقية مصدرها العقل البشري. ويُعد كتابه «نقد العقل الخالص» من أهم أعماله الذي يحقق نوعاً من المصالحة بين التيارين العقلي والتجريبي، حيث أحدث ثورة كوبرنيقية في الفلسفة (نسبة إلى كوبرنيق Copernicus الذي استبدل مركزية الأرض بمركزية الشمس في نظامنا الشمسي). فالعقل لا يولد صفحة بيضاء تماماً إنما يؤدي دوراً مهماً في صياغة العالم المحسوس عبر قواعد تنظيم وتصنيف للمعطيات الحسية العقلية الموجودة في الذهن والتي تقود إلى المعرفة.

وفي كتابه «نقد العقل العملي» يتطرق كانط إلى عالم الأخلاق، ويزعم أن العقل وحده هو الذي يقرر العمل الصائب من الخاطئ. وهناك قانون أخلاقي كوني يخضع له البشر جميعهم، كما أن الموقف الأخلاقي يخضع للذات الإنسانية الحرة وينجم عنها في معزل عن أي تأثير خارجي، وهذه المواقف الأخلاقية العقلانية ترتقي بالتدرج بمرور الوقت وتطور المجتمعات، حيث توقّع كانط أن تصل بالبشرية إلى تحقيق سلام عالمي نتيجة رقي الأخلاق في المستقبل.

تأثر كانط بإنجازات من سبقوه من علماء وفلاسفة، مثل نيوتن وهيوم

وروسو، ويَذكر هو نفسه أن قراءة روسو وضعته على الطريق القويم وأحدثت فيه ثورة فكرية، لأن روسو وضع مقام الأخلاق فوق مرتبة العلم، وعدّ العلم المجرد من الأخلاق لا يساوي شيئاً، كما عد البحث في متاهات الغيب والميتافيزيقا مضيعة للوقت، فالبحث العقلي يؤدي إلى اكتشافات علمية هائلة تمكننا من السيطرة على الطبيعة، كما حصل مع اكتشاف قوانين نيوتن في الجاذبية والحركة.

وقد أجاب كانط عن تساؤله: ماذا ينبغي أن آمله من هذه الحياة؟ وذلك من خلال كتابه «الدين ضمن حدود العقل فقط»، وفيه ينتقد الأصولية المسيحية المتزمتة ويبلور الفهم العقلاني للدين الذي ينبذ التعصب الديني الذي اجتاح أوروبا في تلك الفترة ممثلا بالصراع الدموي بين الكاثوليك والبروتستانت.

وسعى كانط إلى تحقيق المصالحة بين كل من العلم والفلسفة والدين، وذلك عبر الدعوة إلى استخدام العقل وحده وعدم قبول أي شيء من الأفكار إلا إذا وافق عليها العقل، وافترض أنه متى تنتهي حدود العقل تبدأ حدود الإيمان؛ أي أن كلا منها يقع في دائرة منفصلة. وفي فلسفته التربوية شدد على التعامل مع الإنسان بوصفه غاية وليس وسيلة لتحقيق مآرب محددة.

تشمل الموضوعات الرئيسة لفلسفة كانط ما يلي:

المثالية المتعالية: نظرية كانط في المعرفة تسمى المثالية المتعالية، وترى أن معرفة العالم تقتصر على إدراك الفرد له، وأن العقل ينظم الإدراك إلى مفاهيم. ففي كتابه نقد العقل الخالص يجادل كانط بأن المعرفة البشرية محدودة ببنى عقلنا، وأن أشياء معينة (مثل طبيعة الكون ووجود الله) لا يمكن معرفتها من خلال العقل وحده.

الحتمية الفئوية: تتمحور فلسفة كانط الأخلاقية حول مفهوم الحتمية

الفئوية، والتي تنص على أنه يجب على المرء دائمًا التصرف وفقًا لمبدأ يمكن أن يكون قانونًا عالميًا. ففي كتابه نقد العقل العملي ناقش كانط طبيعة العقل العملي والواجب الأخلاقي والحرية، وكيف ترتبط هذه المفاهيم بالحتمية الفئوية، واعتقد أن الأفراد يتمتعون بالحكم الذاتي، أي أن لديهم القدرة على اتخاذ خياراتهم الأخلاقية بأنفسهم. وشدد على أهمية الحرية الأخلاقية وواجب اتباع ضمير الفرد.

هيجل Hegel

(1831 – 1770)

جورج فيلهيلم فريدريك هيجل فيلسوف ألماني من أعظم فلاسفة العصر الحديث المثاليين الذين آمنوا بروح مطلقة بنى عليها هيجل فلسفته، والتي من خلالها استطاع بناء رؤية لفهم الماضي والحاضر والمستقبل، وأسس كذلك للفكر الجدلي الذي تبناه ماركس فيما بعد.

بدأ في دراسة اللاهوت ثم انتقل إلى الفلسفة. ومن مقولاته إن الإنسان مدين في وجوده إلى الدولة، وفيما تم تأويل ذلك القول في البداية برده إلى أصحاب المذاهب الفاشية، بيد أنه من الواضح أن المسألة أعمق من ذلك، فقد بنى ماركس على الفلسفة الهيجلية مشروعه في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للدولة وفي كيفية إحداث التغيير في نمط الإنتاج وسيطرة القوى المنتجة على الدولة.

اعتقد هيجل بأن العالم الواقعي المشاهد يمر في سيرورة وارتقاء، ومن وظيفة الفلسفة تتبع هذا التطور، وتحليله عقلانياً، وبيان كيف يجسد الفكر نفسه في الطبيعة عبر تاريخ البشرية، والكشف عن غاية هذا التطور الذي لا يستطيع الإنسان السيطرة عليه. وهكذا يصل هيجل إلى نهاية التاريخ، إذ ظن أن نابليون هو روح العالم على صهوة جواد عندما دخل نابليون بلدة هيجل والتي اسمها «ييينا».

ويحكم هذا المنطق التطوري «الجدل الهيجلي»، وأحد أسسه نفي النفي، الذي طبقه أيضاً على المجتمع ودور الدولة، وافترض في كتابه «فلسفة التاريخ» أن الجدل ينتهي عند انتهاء التناقضات في المجتمع، إذ تهيمن عند ذلك الجدلية على تاريخ العالم. فأطروحة الجدل تبدأ من المجتمع اليوناني الذي قام على الأخلاق العرفية التي وحدت المواطن

مع مجتمعه، ثم تدخل مرحلة التناقض، أو الأطروحة النقيض، وهي تقابل تشكيك سقراط في أخلاق المدينة- أثينا. وكي يتطور هذا الفكر، جاءَت المسيحية وشكلت حركة إصلاح ديني ولكنها لم تكتمل، فدخلت في طور «الأطروحة المركبة» التي تمظهرت في المجتمع الألماني في عصر هيجل، والذي عدّه متناغماً بوصفه مجتمعاً عضوياً. ورغم هيمنة الدولة فهو يحافظ على الحرية الفردية لأنه مجتمع منظم على أساس عقلاني.

أمّا الفن والدين فهما طريقان مختلفان لإدراك الفكرة المطلقة التي يُعد البشر جزءاً منها، بينما الفلسفة هي شكل أعلى من الفن أو الدين، لأن الفلسفة تدرك الفكرة المطلقة على نحو مفاهيمي، فتفهمها من جهة الجانب الديني والآخر الجمالي، فضلاً عن إدراكها لذاتها، وللمطلق، في آن معا. أما النظر إلى الإله بوصفه شيئاً منفصلاً عن العالم فهو اغتراب لروح الإنسان، فإذا كان الله موجوداً، فهو في هذا العالم، والبشر يشاركونه بعض صفاته، ولكن الإله نفسه يحتاج إلى الكون على النحو الذي يحتاج فيه الإنسان إلى الجسد، وذلك كي تتحقق ألوهيته.

انقسم أتباع هيجل بعد وفاته إلى يمين هيجل التقليدي الذي سعى للتوفيق بين آراء هيجل الدينية والمسيحية البروتستانتية، وقبِل أتباعه وجهة النظر الهيجلية عن دولة بروسيا. أما اليسار الهيجلي فرأى عجزاً عند هيجل في استكمال الدلالات الراديكالية لفلسفته نتيجة التوقف عند المسيحية والدولة الناجزة لبروسيا، لذلك نادى الهيجليون الشباب باستمرار الجدل الذي يفرز نقيضه وبالتالي يؤدي إلى تغيير في المجتمع وفي التفكير.

تتمحور فلسفة هيجل حول بعض الموضوعات الرئيسة، بما في ذلك:

الجدلية: الفكرة القائلة بأن المفاهيم والأفكار في حالة تغيرَ وتطور

مستمر من خلال الأطروحة فنقيضها والتوليف بينهما.

الروح المطلق: الإيمان بأن الواقع هو تجسيد لمبدأ روحي عقلاني يتكشف بمرور الوقت.

التقدم التاريخي: الاعتقاد بأن التاريخ هو تقدم الوعي البشري نحو مزيد من الحرية والوعي الذاتي.

الدولة والمجتمع المدني: فكرة أن الدولة هي التحقق النهائي للحرية وأن الأفراد يجب أن يتنازلوا عن بعض حقوقهم الفردية من أجل تحقيق الحرية الجماعية.

الوعي الذاتي: الاعتقاد بأن الوعي البشري هو المفتاح لفهم الواقع، وأن الوعي بالذات هو أعلى شكل من أشكال الوعي.

الحرية: الهدف النهائي للوجود الإنساني هو تحقيق الحرية، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا عبر تطوير العقل والوعي الذاتي.

جيريمي بنثام Jeremy Bentham

(1832 – 1748)

محامي وفيلسوف إنجليزي قاد حركة تغيير اجتماعي مهمة في بريطانيا، ويُعد من مؤسسي النظام الأخلاقي الذي يدعى المذهب النفعي Utilitarianism، والذي يدور حول فكرة مذهب السعادة الكبرى، فالذي يحقق السعادة القصوى أو الفائدة العظمى للغالبية من الناس هو المذهب الأخلاقي الناجح في المجتمع. وصف بنثام المنفعة بأنها «هي تلك الخاصية في أي كائن والتي تميل إلى إنتاج المنفعة أو الميزة أو الخير أو السعادة».

سعى بنثام إلى محاكاة التقدم الكبير الذي أحدثته العلوم الفيزيائية، ولكن من خلال الجانب الأخلاقي، متأثراً بالفلسفة التجريبية كأعمال فرانسيس بيكون وجون لوك، فالعقل ليست لديه مادة معرفية مسبقة إلا ما يستمده من الحواس. وجادل أن العلوم القانونية يجب أن تبنى على الأساس الحسي نفسه، ورفض جميع الأشكال المثالية للفلسفة. وهكذا انطلق من المذهب المادي وأن المادة قابلة للقياس الكمي، بما في ذلك اللذة والألم، والتي تشكل القاعدة التي يقيس عليها المذهب النفعي السعادة المطلقة لأكبر عدد ممكن من الأشخاص.

ودافع عن الحريات الفردية والاقتصادية وفصل الكنيسة عن الدولة، كما دافع عن حرية التعبير، وطالب بالمساواة بشأن حقوق المرأة، ومنه حقها في الطلاق، ودعا للتخفيض من عقوبة تجريم الأفعال الجنسية المثلية، وإلى إلغاء العبودية وعقوبة الإعدام والعقوبة الجسدية، بما في ذلك عقوبة الأطفال. كما كان من أوائل من دعا إلى حقوق الحيوان، وعارض فكرة القانون الطبيعي والحقوق الطبيعية.

وجّه جون ستيوارت مل النقد لبنثام في شأن رؤيته للطبيعة البشرية التي لم تعترف بالضمير الإنساني كدافع بشري. كما نقده وليم هازليت باختزاله القانون إلى نظام، واختزاله عقل الإنسان إلى مجرد آلة منفصلة عن حياة الروح والخيال والعاطفة والحب والمشاعر، وعدها فلسفة لا تليق بالحيوان حتى تليق بالإنسان. أما توماس كارلايل فعدها مجرد فلسفة فيها مسألة الربح والخسارة وحسب.

تتمحور فلسفة بنثام، المعروفة باسم المذهب النفعي، حول الموضوعات الرئيسة التالية:

مبدأ السعادة الأعظم: الإيمان بضرورة تقييم الأفعال بناءً على قدرتها على تعزيز أكبر قدر من السعادة العامة أو المتعة لأكبر عدد من الناس. والإيمان بأن المتعة هي الهدف النهائي في الحياة وأنه يجب تجنب الألم.

القياس الكمي للمتعة والألم: فكرة أن اللذة والألم يمكن قياسهما ومقارنتهما، مما يسمح بحساب الفائدة الإجمالية لأي عمل كان.

الفردية: الاعتقاد بأن سعادة كل فرد لها الأهمية نفسها، وأنه يجب أخذها بالاعتبار عند اتخاذ القرارات الأخلاقية.

العواقبية: يجب تحديد أخلاق العمل بناءً على عواقبه، بدلاً من النوايا الكامنة وراءه.

القانون والإصلاح الاجتماعي: دعا بنتامى أيضًا إلى إصلاحات قانونية واجتماعية، مثل إلغاء العبودية، وإلغاء عقوبة الإعدام، وإصلاح نظام العدالة الجنائية، كل ذلك باسم تعزيز أكبر قدر ممكن من السعادة الشاملة.

Page ... Jeremy Bentham (1748 – 1832)

كيركيجارد Kierkegaard

(1855 – 1813)

سورين كيركيجارد فيلسوف دنماركي يُعد الأب المؤسس للفلسفة الوجودية بعد أن أقام شهرته على نقد الفيلسوف الألماني هيجل، حيث اعتقد أنه لا يمكن لأي نظام فكري محض أن يفسر التجربة الفريدة للفرد على نحو مقبول. فالإنسان ينبغي أن يكون موضوع الفلسفة وليس القضايا الميتافيزيقية، فعدم معقولية الحياة يملأ نفس الإنسان بالقلق واليأس، لذلك فإن بحث الإنسان عن المتعة والسعادة هو هروب من القلق والاكتئاب.

هناك ثلاثة أنماط للوجود، الأول جمالي، ويتعلق بالسعي نحو المتعة وإشباع الرغبات، أما الثاني فأخلاقي، ويستند إلى الشعور بالمسؤولية والواجب، أما الثالث فهو ديني، وقد أدرك كيركيجارد كيف يتناقض البعد الديني مع البعد الأخلاقي، واستخدم مَثل أمر الله لإبراهيم بأن يضحي بابنه الوحيد، الأمر الذي جعل إبراهيم يضحي بالجانب الأخلاقي في مقابل إرضاء الجانب الديني.

أكد كيركيجارد على أهمية العلاقة بين الإنسان وخالقه، فمن خلال البعد الديني يجد الإنسان حريته ويحقق ذاته، والأمر يتطلب «قفزة من الإيمان»؛ أي قفزة في الظلام متسلحاً بأقوى المشاعر الإنسانية، ألا وهو الإيمان. وبناء عليه، فإن ما يستدعيه عصرنا ليس التأمل العقلي إنما مشاعر الشغف Passion، وهذه المشاعر وما تتوصل إليه من معارف هي التي يمكن الركون إليها لأن نتائج العقل لا يمكنها أن تتوصل إلى إثبات الإيمان، فالعقلانية بإمكانها أن ترفض الإيمان وحسب. والإيمان المطلق بالله هو ما يُمكّننا من التغلب على لامعقولية الحياة والسيطرة على القلق والاكتئاب والوحدة.

وكيركيجارد لا يهتم بالوجود إلا من حيث هو معني بوجود الإنسان. وهناك حقائق موضوعية Objective وجودها مستقل عن الشخص، وهناك حقائق ذاتية Subjective مثل القيم والأخلاق والادعاءات الدينية وحقيقة الموت، وهي تعتمد على الشخص نفسه، وحقائقها نسبية. لذلك فإن النفس عنده هي حقيقة شخصية تعكس التزام الشخص بالحقائق والقيم الشخصية، مع تحمل مسؤولية هذه القيم، بحيث يصبح إنساناً حراً يرسم مستقبله بنفسه. أما الحقيقة فهي موضوع ذاتي نسبي يعتمد على وجود الشخص الذي أصبح في مركز الفكر الفلسفي؛ وهكذا كانت نقطة بداية الفكر الوجودي في القرن العشرين.

تشتهر فلسفة كيركيجارد بالعديد من الموضوعات الرئيسة، بما في ذلك:

الوجودية: الاعتقاد بأن الأفراد يجب أن يصنعوا معانيهم الخاصة في الحياة وأن يخلقوا قيمهم الخاصة، بدلاً من الاعتماد على مصادر خارجية مثل الدين أو المجتمع.

الذاتية: الاعتقاد بأن الحقيقة والواقع أمران ذاتيان، وأن تجربة كل فرد منهما فريدة من نوعها.

والاعتقاد أن الإيمان قفزة يجب على المرء القيام بها من أجل فهم الطبيعة الحقيقية للواقع، وأن العقل والمنطق وحدهما غير كافيين.

القلق: فكرة أن الأفراد يشعرون بالقلق وعدم اليقين عندما يواجهون الحرية في اتخاذ قراراتهم بأنفسهم في الحياة.

الأصالة: الاعتقاد بأن الأفراد يجب أنَ يسعوا جاهدين للعيش بشكل أصيل، بدلاً من التوافق مع التوقعات المجتمعية.

التدين: كتب كيركجارد عن الموضوعات الدينية في المسيحية، وأهمية

العلاقة الشخصية مع الله، بدلاً من الاعتماد على المؤسسات أو التقاليد القائمة.

شوبنهور Schopenhauer

(1860 – 1788)

آرثر شوبنهور فيلسوف ألماني كان من أوائل الفلاسفة الذين أعلنوا صراحة إلحادهم، وأن الكون ليس مكاناً للعقلانية الفردية، وكان من أول الفلاسفة الغربيين الذين درسوا الديانات الهندية القديمة والبوذية. ويُعد فيلسوفاً متشائماً، وتدور فلسفته حول مفهوم «الإرادة» اللاعقلاني الذي لا غاية أو هدف له، وما العقل سوى مجرد أداة بيد الإرادة وتابع لها، أما العالم الظاهر لنا فلا معنى له أو غاية، بل هو أقرب ما يكون إلى الوهم منه إلى أي شيء آخر.

وما البشر سوى عبيد لرغباتهم، والإرادة هي القوة الدافعة إلى الأمام. أما ظاهرة التعاطف مع الآخرين Compassion فهي من صميم جذور الأخلاق والحب. وفيما يتعلق بمعاناة الإنسان في حياته فلا مجال للتحرر منها إلا عبر الفن.

أقر شوبنهور بالقيم الأخلاقية التقليدية دون الحاجة إلى افتراض وجود الله، كذلك تحدث عن إمكانية الوصول إلى المعرفة المطلقة، كما هي متداولة في المفهوم الفلسفي، وذلك من خلال التجربة الصوفية. وربما يكون قد حصل ذلك بتأثير من الفلسفات القديمة التي ذكرت سابقا. كما أدخل أساليب جديدة في الفهم عبر الموسيقى والأدب.

إن كل ما يحدث لنا يحدث بفعل الضرورة، فكل فعل فردي يحدث عبر أسباب ودوافع سابقة، لذلك لا يمكن تغيير مسار الأحداث، وهكذا، رأى شوبنهور أن الكفاح من أجل تغيير العالَم يصبح بلا معنى، وعدّ مفهوم الطبائع العقلية، إلى جانب الطبائع التجريبية الكانطية، حلاً لمشكلة الحرية والحتمية. ومن خلال تعلمنا المزيد حول أنفسنا سوف نتمكن من

تمثيل طبائعنا العقلية على نحو أكثر فاعلية، وخاصة عبر تنسيق هيكلي مع الموسيقى – الفن الأرقى. وبناء عليه فهناك صلة منهجية بين النظرية الجمالية والنظرية الأخلاقية عند شوبنهور.

أنكر شوبنهور إرادة الحياة، فالحياة شر مطلق، لذلك فإن الانتحار شيء جيد (وقد تندر البعض بالسؤال: طالما أن الانتحار شيء جيد فلماذا لا تنتحر إذن يا شوبنهور؟)؛ ولكن بما أن الحياة مليئة بالإحباطات فيمكننا السيطرة عليها من خلال كبح رغباتنا الشخصية، وهنا يدخل شوبنهور في مرحلة الزهد والتعفف، وهي بتأثير من المسيحية وفلسفات هندية قديمة.

تشتهر فلسفة شوبنهاور بالعديد من الموضوعات الرئيسة، بما في ذلك:

التشاؤم: الاعتقاد بأن الحياة مؤلمة بطبيعتها وأن السعادة عابرة، إن وجدت أصلاً.

الإرادة: الإيمان بأن الواقع الأساسي للكون هو إرادة عمياء وغير عقلانية. والعالم الذي ندركه ليس سوى تمثيل للواقع الحقيقي الأساسي، وهو الإرادة.

إنكار الإرادة: الفكرة القائلة بأن الهدف النهائي للوجود الإنساني هو إنكار إرادة الحياة، مما قد يؤدي إلى حالة من السلام والهدوء الداخليين.

التعاطف: الاعتقاد بأن التعاطف هو الوسيلة الوحيدة التي يمكن للأفراد من خلالها فهم معاناة الآخرين، وبالتالي فهم العالم.

الجمال: كان لدى شوبنهاور أيضًا منظورًا فريدًا للفن والجماليات، معتقدًا أن الفن لديه القدرة على توفير هروب مؤقت من المعاناة التي تسببها إرادة الحياة.

جون ستيوارت مِل John Stewart Mill

(1873 – 1806)

فيلسوف إنجليزي يُعد من أهم من بحث عن أسباب مذهب المنفعة والحرية الشخصية، إلى جانب عمله في المنطق وفلسفة العلم والميتافيزيقا ونظرية المعرفة. وفي كتابه «إخضاع المرأة» رفض تبعية المرأة للرجل وعدّها من أسس إعاقة التطور في المجتمعات، وبالمقابل نادى بالمساواة بين الجنسين وطالب بإعطاء المرأة حقها في الانتخاب.

وفي كتابه عن الحرية يؤكد **جون ستيوارت مِل** عدم وجود حقيقة مطلقة، فكل شيء خاضع للعقل والنقاش، لذلك رفض فكرة الاستبداد العقلي، وطالب بضرورة كفالة حرية الفكر والتعبير لأن إخماد الرأي الحر قد يخمد لهيب الحقيقة ويقيد المعرفة. ولتأييد الثقة في الرأي الصواب سعى نحو منع تحول النقاش إلى نصوص جامدة جوفاء.

أما الفردانية فهي ركن أساس من أركان الحضارة، وهي تؤكد على التنوع في الآراء وتعدد المواقف والاتجاهات، ويُعدها جون ستيوارت مل ضرورة من أجل تطور المجتمعات. واعتقد أن ما يقضي على الفردانية هو الاستبداد وخضوع الإنسان للأنساق العامة التقليدية التي تسيطر على تفكيره وتحد من تطوره الفكري.

والعيش في المجتمع يستلزم الالتزام باجتناب إلحاق الضرر بالآخرين ومصالحهم، أي أن الحرية الشخصية ينبغي أن تتوقف عندما تبدأ بالاعتداء على حرية الآخرين، عندها نخرج من إطار الحرية إلى دائرة القانون والأخلاق. فتقوم عند ذاك السلطة بالتدخل طلباً لحماية النفس ودفع الأذى عن الآخرين، ولكن مع مراعاة أن لا يكون الإنسان الحر عبداً للأجر الذي يتقاضاه، أو ترساً في آلة صناعية عملاقة لا إنسانية الغايات،

أوعندما يكون الانسان مستلب الحرية.

وترتكز النظرية الأخلاقية عند المذهب النفعي على قاعدة أن مقياس الخير والشر هما اللذة والألم، وأن السعادة هي المذهب المنشود كغاية في ذاتها وليس كوسيلة لأي شيء آخر، ولكن مِل أكد على ضرورة الأخذ بالاختلافات بين الأشخاص والتمييز الكيفي بينهم، وعدم اعتبار أنواع اللذات المختلفة نوعاً واحداً، فهناك لذات أكثر سمواً لدى البشر؛ وتلك الاستعدادات يدعوها مِل بالملكات؛ وهي سهلة الزوال سريعة العطب وتصبح معطلة بمرور الوقت عند تركها. ويعبر عن ذلك بقوله: «من الأفضل أن تكون إنساناً غير راض، من أن تكون خنزيراً راضياً، ومن الأفضل أن تكون سقراطاً غير راض من أن تكون أحمق راضياً».

تتمحور فلسفة جون ستيوارت مل حول العديد من الموضوعات الرئيسة، بما في ذلك:

النفعية: الاعتقاد بضرورة تقييم الأفعال بناءً على قدرتها على تعزيز أكبر قدر من السعادة العامة أو المتعة لأكبر عدد من الناس.

الحرية الفردية: الإيمان بأن الأفراد يجب أن يتمتعوا بحرية اتخاذ خياراتهم الخاصة والسعي وراء سعادتهم الخاصة، طالما أنهم لا يؤذون الآخرين.

التقدم الاجتماعي: الإيمان بضرورة سعي المجتمع باستمرار إلى التحسين والتقدم، من خلال استخدام العقل وتطبيق المبادئ العلمية، والتركيز على أهمية التعليم في تعزيز التفكير النقدي والفردانية.

الحكم الديمقراطي: الإيمان بأن الديمقراطية هي أفضل شكل للحكم لأنها تسمح بمشاركة وتمثيل جميع الأفراد، بما في ذلك المرأة، إذ دافع مل عن حقوق المرأة وعن مساواتها السياسية والاجتماعية مع الرجل.

ماركس Marx

(1883 – 1818)

كارل ماركس فيلسوف ومفكر سياسي ألماني من أصول يهودية، ومن أعظم مفكري عصره، حيث من الصعب فهم فلسفة القرن العشرين من دون العودة إلى أفكار ماركس وأفكار الفلسفات الماركسية اللاحقة التي أسهمت في تغيير العالم.

كتب ماركس البيان الشيوعي مع رفيقه إنجلز. وأسس فلسفته على معارفه في التاريخ والاقتصاد السياسي والفلسفة، فبنى نظاماً فلسفياً متكاملاً بات يُعرف بالمادية الجدلية التي مكّنته من التنبؤ بتطور المجتمعات، وألهمته أن المجتمع الرأسمالي سوف ينهار عبر تناقضاته الداخلية وبواسطة معاول هدمه التي تنتجها الرأسمالية في داخلها، وذلك ليصبح مجتمعا شيوعياً.

استعار ماركس مصطلح «جدلي» من الفيلسوف الألماني هيجل، رغم أن هيجل كان مثالياً. وصرح ماركس أن الفلاسفة من قبله قد سعوا إلى تفسير العالم وأن هدف فلسفته تغيير العالم عبر الطبقة العاملة التي لا شيء لديها كي تخسره سوى قيودها، وبالتالي سوف تتحرر من قيودها بالانتفاض والثورة على أسباب اغترابها في المجتمع الرأسمالي، الذي بحكم آلياته الداخلية سوف يعزز البطالة بين العمال ويزيد من الفقر والحاجة لديهم، فيما سوف تزداد ثراء الطبقة المسيطرة على وسائل الإنتاج (البرجوازية). وفي النهاية يتحد العمال ويسيطروا على وسائل الإنتاج ويشكلوا دولة البروليتاريا العمالية.

أراد ماركس من كتابه «رأس المال» كشف خصوصية المجتمع الرأسمالي المتمثلة في هيمنة المجال الاقتصادي على أوجه العلاقات

الاجتماعية كافة، وذلك عبر اتخاذ جميع المنتجات شكلاً سلعياً، وكذلك عبر قوة العمل التي تصبح سلعة، فيصبح البناء التحتي الاقتصادي مهيمناً في إعادة تكوين نمط الإنتاج، فيبدو للناظر البريء عند ذاك أن رأس المال هو الذي ينتج العمل وليس العمال، فيما يبدو أن أجر العامل هو «جزاء عادل» مقابل جهده في العمل بينما هو في الحقيقة مجرد الحد الأدنى من الأجر القادر على مجرد إعادة إنتاج قوة العمل.

تنبأ ماركس خطأ أن الثورة العمالية سوف تبدأ من ألمانيا، حيث لم تكن الإمبريالية قد تشكلت بعد، إلا خلال فترة الكساد الكبير، ولغاية نهايات القرن التاسع عشر عندما برزت الشركات الاحتكارية وتعمقت الثورة الصناعية، باختراع المحرك ذي الاحتراق الداخلي، واعتماد الثورة الصناعية الثانية على الصلب والكهرباء والبترول والكيمياء التأليفية. وهكذا ظهرت نظريات حديثة تدعم فكرة ظهور الثورات في الأطراف، أي الدول الواقعة على تخوم المراكز الرأسمالية، كما حدث في الصين وروسيا.

أما لينين فقد أدرك أثر الإمبريالية على البروليتاريا في الغرب، لذلك استنتج أن الثورة العالمية ستبدأ من الشرق، أي في روسيا، وأنها سوف تنتقل بسرعة إلى الغرب. ولكن لينين لم يطرح فكرة «فك الارتباط» بين المراكز والأطراف وهي فكرة ظهرت لاحقاً في مدارس مثل مدرسة التبعية التي توقعت ظهور الثورات في دول الأطراف المسحوقة التابعة للمراكز الرأسمالية تبعية عضوية تعوق نموها.

تتمحور فلسفة كارل ماركس حول العديد من الموضوعات الرئيسة، بما في ذلك:

المادية التاريخية: الاعتقاد بأن التطورات الاقتصادية والتكنولوجية تقود التغيير التاريخي وأن تاريخ المجتمع هو تاريخ للصراع الطبقي.

المادية الجدلية: الاعتقاد بأن العالم الطبيعي والمجتمع البشري في حالة تغير وتطور مستمر من خلال عملية الأطروحة والنقيض والتوليف بينهما.

الاغتراب الرأسمالي: الفكرة القائلة بأنه في ظل الرأسمالية، يتم عزل الأفراد عن عملهم ومنتجاتهم وعن إخوانهم من البشر.

البروليتاريا والبرجوازية: الاعتقاد بأن النظام الرأسمالي يخلق طبقتين رئيسيتين في المجتمع: أصحاب وسائل الإنتاج (البرجوازية) والعمال (البروليتاريا).

الوعي الطبقي: الاعتقاد بأن الطبقة العاملة يجب أن تطور وعيًا طبقيًا من أجل الإطاحة بالبورجوازية وإقامة مجتمع اشتراكي أو شيوعي.

نقد الدين والفلسفة: انتقد ماركس أيضًا دور الدين والفلسفة التقليدية في الحفاظ على الوضع الراهن وجادل بأن التحرر الحقيقي لا يمكن تحقيقه إلا من خلال الثورة والإطاحة بالنظام الرأسمالي وآلياته الآيديولوجية.

إنجلز Engels

(1820 – 1895)

فريدريك إنجلز فيلسوف ومفكر سياسي ألماني، شارك ماركس في كتابة «البيان الشيوعي»، وأسهم في تطوير المادية الجدلية. كذلك تأثر بفلسفة هيجل التي غيرت مجرى حياته. بعد موت ماركس أسهم إنجلز في تحرير كتاب ماركس «رأس المال». وتنسب إليه مقولة إن التاريخ هو بمثابة صراع طبقي بين الطبقات المسيطرة في المراحل المختلفة للتطور الاجتماعي.

عاش إنجلز في مدينة مانشستر البريطانية حيث تحول إلى راديكالي بفعل انغماسه في المجتمع الصناعي الذي اعتمد على صناعة القطن؛ تلك الصناعة التي ازدهرت خلال الثورة الصناعية وتجلت بوضوح عبر نتائجها في استغلال العمال، فكتب إنجلز عن أحوال العمال في إنجلترا وكيف أصبح النساء والأطفال والرجال مرضى ومنهكين من الاستغلال الرأسمالي، وذلك كي تمتلئ خزائن البرجوازية بالأرباح. ولم يرَ إنجلز أي حل لهذه المعاناة إلا عبر العبور إلى نمط الانتاج الاشتراكي؛ فالحرية هي إدراك الضرورة.

Telegram:@mbooks90

أسهم إنجلز أيضاً في ربط العلم بالفلسفة، بهدف تقديم نظرة نسقية ومنتظمة عن العالم على قاعدة المعرفة العلمية المتوافرة. ففي كتابه «أصل العائلة والمُلكية والدولة» استند إنجلز إلى عمل مورغان الميداني لتقديم نظريته حول أصل العائلة والملكية والدولة، وذلك عبر نظرة مادية تاريخية للعالم أسهمت في إثراء الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع، كمحاولة لتقديم نظرية عن بدايات التاريخ الإنساني وأهمية المُلكية.

ونظرة إنجلز للدين تتجاوز نظرة البعض من أن الدين مجرد جهل

مؤسس على التقاليد والخرافة، بل يجدر بنا فهم الدين كظاهرة في سياق اجتماعي؛ ظاهرة تقود الناس إلى الاغتراب، أي اغتراب الإنسان عن ذاته، فلا يعود قادراً على التعرف على نفسه عبر منتجاته التي يصنعها والتي بدورها تتحول إلى قوة عارمة تتحكم فيه، فيقف مذهولاً أمامها غير قادر على فهم طريقة عمل منتجاته ذاتها التي يصنعها هو بنفسه؛ بل وتزداد الهوة بينهما اتساعاً فتنحجب الرؤيا ولا يعود المرء قادراً على أن يتعرّف على إنتاجه، فتنشأ حالة الاغتراب؛ أي اغتراب الانسان المستلب عن مجتمعه.

ويطبق إنجلز المنطق نفسه على السلطة السياسية، التي هي من نتاج البشر ولكنها تبدو منفصلة عنهم، وكأن مصدرها سحري، ويأتي من الله أو سلطة مجهولة. ورغم أنه في العصور الحديثة نستطيع أن نرى أن هذا المصدر السحري قد تعلمن، ولكنه بقي متعالياً عن الواقع، كمفهوم الإرادة العامة، على سبيل المثال.

وتقوم الأنظمة الاستبدادية في المجتمعات المدنية باضطهاد الناس وتقييد حرياتهم، وبالتالي لا يبقى لهم سوى الصلاة ومناجاة قوة متعالية طلبا للنجاة، وهكذا يصبح الدين تعبيراً عن اغتراب الإنسان عن ذاته وعن مجتمعه، وتعبيرا عن ضعفه في مواجهة القوى المسيطرة. وهذا هو الشرط الاجتماعي الذي يشكل جوهر نظرية إنجلز في الدين.

تشتهر فلسفة فريدريك إنجلز بالعديد من الموضوعات الرئيسة، بما في ذلك:

المادية التاريخية: طور إنجلز هذه النظرية مع كارل ماركس واعتقد أن التطورات الاقتصادية والتكنولوجية تقوَد التغيير التاريخي، وأن تاريخ المجتمع هو تاريخ الصراع الطبقي.

المادية الجدلية: اعتقد إنجلز أيضًا أن العالم الطبيعي والمجتمع البشري

في حالة تغير وتطور مستمر من خلال عملية الأطروحة والنقيض والتوليف بينهما.

الاغتراب الرأسمالي: توسع إنجلز في فكرة ماركس القائلة بأن الأفراد في ظل الرأسمالية ينفصلون عن عملهم ومنتجاتهم وإخوانهم من البشر.

البروليتاريا والبرجوازية: شارك إنجلز ماركس اعتقاده أن النظام الرأسمالي يخلق طبقتين رئيسيتين في المجتمع: أصحاب وسائل الإنتاج (البرجوازية) والعمال (البروليتاريا).

دور المرأة في المجتمع: كتب إنجلز بإسهاب عن دور المرأة في المجتمع وجادل بأن تحرير المرأة عنصر أساسي للإطاحة بالرأسمالية وتأسيس الاشتراكية.

الإمبريالية: كان إنجلز رائدا في الكتابة عن موضوع الإمبريالية، وكيف كانت نتيجة حتمية للتوسع الاقتصادي الرأسمالي على صعيد عالمي.

Passages (1820 - 1895)

نيتشه Nietzsche

(1900 – 1844)

فريدريك نيتشه فيلسوف ألماني يُعد من أبرز فلاسفة ما بعد الحداثة، تحدى الفكر الكنسي المسيحي ونظامه الأخلاقي، واعتقد أنه قد حان الأوان لاستبدال أخلاق المسيحية بأخرى أقرب إلى واقع الحياة العملية التطورية، وهي أخلاق الديانة الرومانية الوثنية. لم يدرس الفلسفة رسمياً ولكنه قرأ للفلاسفة، ومنهم شوبنهور الذي تأثر به، ورغم ذلك نقده، إذ رأى أن التشاؤم في فلسفته غير مبرر.

أسيء فهم نيتشه واتهم بأن فلسفته قادت إلى الفاشية والنازية في أوروبا، واتهم أيضا أن فلسفته عدمية، بينما هي ليست كذلك. كان له شغف عميق بالتراث الأدبي الإغريقي وفلاسفة الإغريق الذين سبقوا سقراط، أي أنه كان مهتما بالنزعة المادية في الفكر الاغريقي.

ناقش نيتشه قضايا متعددة كالأخلاق والدين والميتافيزيقا ونظرية المعرفة، وجمعهم معاً في عقيدة واحدة هي «الإرادة من أجل القوة» Will to Power والتي عدّها منسجمة مع نظرية التطور الداروينية، حيث ينبغي أن يتعلم الناس السيطرة على مشاعرهم الطبيعية. وعَبر قوة الإرادة، التي تتحول إلى أداة لسيطرة الإنسان على مصيره، يبلغ الانسان مرتبة السوبرمان الذي دعا إليه نيتشه وسعى للوصول إلى تلك المرتبة بالتدرج وبوحي من نظرية التطور الداروينية.

إن أخلاق المسيحية هي أخلاق عبودية، لذلك ينبغي هجرها إلى أخلاق وثنية أكثر ملائمة للإنسان المعاصر. كذلك أعلن نيتشه «موت الله»، ونكران وجوده وبالتالي اتهم الفلسفات التقليدية التي دعمت الدين بأنها أحبطت القدرات الطبيعية للإنسان على التقدم. أما اليوم فالمطلوب

هو إنسان خارق الفضائل. وهكذا وضع نيتشه آفاقاً جديدة لفلسفة القرن العشرين، كما فتح الباب أمام تأويل فلسفته من قبل الحركات السياسية الراديكالية، وعلى رأسها النازية.

كذلك رأى نيتشه أن الدافع الكبير للحياة هو الفن، وكان مغرماً بمقطوعة الموسيقار الألماني فاغنر «ترستان وازولد» Tristan and Isolde، وظل مغرماً بها طيلة حياته، لذلك رأى أن الموسيقى تمثل الجزء الأعظم من الفن الذي عدّه الدافع الحقيقي للحياة، كما عد الموسيقى آلية معبرة عن إرادة القوة والإحساس الباطن والإبداع الفني الكامل، كما تمثلت في أسطورة الإله الإغريقي ديونيسوس إله الخمر والفرح والسعادة.

وهكذا، ففي سعي البشرية عبر إرادة القوة فإنها سوف تفرض أخلاقها على العالم بأسره وتصبح هي المثل الأعلى والغاية المنشودة؛ إذ يقول نيتشه: «فإما أن أحيا كما أريد أو لا أحيا مطلقاً». فالحياة هي إرادة القوة التي تتفوق على نفسها باستمرار.

خلاصة القول في فلسفة نيتشه أنها نبذت الأخلاق السائدة والدين التقليدي، وعبرت عن مفهوم «إرادة القوة» وفكرة رفض الحقيقة الموضوعية واحتضان مفهوم الذاتية للسيطرة على الذات ومصير الانسان، ورفض المفاهيم الميتافيزيقية مثل «الروح» أو «الله».

Friedrich Nietzsche (1844 – 1900)

وليم جيمس William James

(1842 – 1910)

فيلسوف وعالم نفس أميركي من أصل إيرلندي، ويعد من الذين أسسوا علم النفس الأميركي، ومن رواد الفلسفة البراغماتية الأميركية الذين اعتقدوا بأن العقل الإنساني موجه بالأهداف المنشودة مسبقا، وأن الوعي هو سيل دافق من الأفكار لا تتوقف. ويمكن القول إن وليم جيمس، إلى جانب كل من شارلز بيرس وجون ديوي، من مؤسسي الفلسفة البراغماتية الأميركية. ويمكن الحديث عن تنوع موضوعات وليم جيمس الفلسفية حول الدين، واستجابة الإنسان للحياة، وحول فكرة خلقنا للحقائق التي نسجلها في حياتنا العملية. ولا شك أن فلسفته كانت مرتبطة بعلم النفس إلى حد كبير.

بحث جيمس في كتابه «قواعد علم النفس»Principles of Pcychology العلاقة بين العقل والوعي والفكر، حيث رأى أن الفكر يتطور في سياق تاريخي، بينما الوعي هو سيل متدفق من الأفكار. وفيما طور شارلز بيرس البراغماتية كنظرية في المعنى، رأى وليم جيمس أنها نظرية في الحقيقة، وأن كل المعارف هي موضوعات للتحقق العقلي البراغماتي من حقيقتها؛ لذلك ينبغي أن نتساءل كيف تسهم هذه الحقيقة في حياة أي شخص الواقعية؟ وما هو أثرها على الإنسان إذاً كانت معرفة خاطئة؟ وبمعنى آخر: ما هي الفائدة المباشرة من هذه المعارف سلبا أو ايجابا؟

وفي ناحية الاعتقاد بوجود الله، فإن خيار الإيمان عنده يرتكز على احتمالية المنفعة المستمدة من هذا الإيمان، وهي عادة الفكرة الغالبة عند البراغماتيين، فأفضل للإنسان الإيمان من عدمه لأن الاعتقاد بوجود الله يجعل حياة الناس أفضل، ولا يخسر الانسان شيئا من ايمانه. ورغم

الانتقادات التي وجهت إليه فإن الكثيرين من الفلاسفة تأثروا به، مثل راسل وفتجنشتين، وحتى في تيار البرغماتية الجديدة نجد أشخاصاً مثل ريتشارد رورتي قد تأثروا بأفكار جيمس وفلسفته.

وعند المستوى الاجتماعي، فإنه اعتقد أن العادة هي التي تبقينا ضمن الحدود المرسومة بحيث «تحفظ الناس الأثرياء من ثورات الفقراء الحسودة»، ودعا إلى الأخذ بالعادات الجيدة في مرحلة مبكرة من حياتنا بحيث يصبح جهازنا العصبي حليفاً لنا بدلاً من أن يكون عدونا. كما دعا إلى حقنا في الاعتقاد وذلك لتبرير حمل معتقدات معينة في ظروف معينة، وبذلك عارض الايمان بمعتقد ما بفعل الإرادة وحسب. وطبق جيمس تحليله على المعتقد الديني، حيث اعتقد أن خلاص المرء يعتمد على الإيمان بالله، وذلك قبل الحصول على أي دليل على وجود الله.

هوسرل Husserl

(1938 – 1858)

يُعد إدموند هوسرل الفيلسوف التشيكي، ذو الأصول اليهودية الذي تحول إلى المسيحية الكاثوليكية، من أكثر الفلاسفة تأثيراً في القرن العشرين. أسس المذهب الفينومينولوجي أو المذهب الظاهراتي Phenomenology الذي اعتقد صاحبه أنه سوف يشكل قاعدة لكل المعارف الإنسانية، وأنه سوف يؤسس للفلسفة كعلم صارم ودقيق في المستقبل.

وفلسفة هوسرل تتعامل مع كل المعارف بوصفها ظواهر، ما عدا ذاتي، فأنا موجود وجودا حقيقيا. ورغم أنه استعار مفهوم القصدية Intentionality من معلمه برينتانو فإنه انطلق من فلسفة رينيه ديكارت بأن الشيء الوحيد الذي أستطيع التحقق منه على أنه موجود هو ذاتي المفكرة؛ أما ما هو موجود في الخارج فهو موضوع للشعور.

فإذا كانت الأشياء الخارجية موضوعاً للشعور، فإننا لا نستطيع القول إنها موجودة بالتأكيد، لذلك نضع عليها «إشارة بين قوسين» ونعلق حكمنا عليها إلى حين. وهكذا يصبح العالم وصفاً لتجربة الأنا الشخصية، وتصبح المعرفة الفينومينولوجية هي معرفة بالماهية، وتصبح كذلك نقداً لنظريات المعرفة الأخرى. ورغم الانتقادات لهذه الأفكار فإن فلسفته أثرت في مارتن هايدجر وجان بول سارتر، كما أثرت فلسفته على علم الاجتماع بمجمله تأثيراً كبيراً.

جاءَت محاولة هوسرل لحل الأزمة بيَن الذات والموضوع عبر توحيد المذهبيين التجريبي والعقلاني من خلال العودة إلى مركزية الوعي عند الإنسان، ودراسة تجليات الشعور تجاه العالم، لذلك تقوم فلسفته على

الماهيات. أما تعليق الحكم فهو بمثابة الشك الديكارتي، إذ وضع العالم الخارجي بين أقواس إلى حين يستطيع التأكد منه. أما الأنا المتعالي فمأخوذة من فكرة ليبنتز عن الموناد ولكنها مجردة من الميتافيزيقا، وهي أيضا مختلفة عن الأنا المتعالية عند كانط لأنها فكرة بديهية يقينية تنتمي إلى عالم الشعور الداخلي الخالص دون أي قيادة أو تدخل للعقل المنظم فيها.

تهتم الفينومينولوجيا، أو المذهب الظاهراتي، بالاستعدادات المعرفية المتراكمة في الذات الإنسانية التي من شأنها أن تمكنها من تأسيس معرفة يقينية، وهي استعدادات مرتبطة بالوعي الخالص السابق على أي خبرة تجريبية. لذلك، حاول هوسرل تأسيس علم نفس ماهوي يدرس الشعور الإنساني بصيغته القصدية ويوضح دوره في عملية الإدراك عبر الأنا المتعالية، وليس الأنا التجريبية، فيقوم بتحويل الأنا النفسية إلى الأنا المتعالية عبر تعليق الحكم، حيث يجد الأنا نفسه في مواجهة ذاته المجردة.

فتجنشتين Wittgenstein

(1889 – 1951)

لودفيك فتجنشتين، مهندس وفيلسوف نمساوي - بريطاني من أصول يهودية، يُعد من أهم مفكري القرن العشرين؛ درس في كامبردج على برتراند راسل، ثم ترك الجامعة خلال الحرب العالمية الأولى ليخدم في الجيش النمساوي، وعاد إلى كامبردج عام 1929 وظل أستاذاً فيها حتى وفاته. نادى بفكرة أن المشكلات الفلسفية تنشأ من عدم فهم منطق اللغة، ورأى أن مهمة الفلسفة الوحيدة ينبغي أن تكون «توضيح الأفكار».

طرح فتجنشتين نظريته في الصورة، وهي تتضمن علاقة اللغة مع الأفكار والوقائع، حيث التعبير عن الواقع من خلال اللغة يصنع صورة للواقع في بناء منطقي من تركيب العقل من شأنه أن يعكس البناء المنطقي للعالم الخارجي، وما لا نستطيع الحديث عنه عبر اللغة يجب الصمت عنه وعدم الاجتهاد فيه. ولكن ما لبث أن تخلى عن نظريته في الصورة وقال إن اللغة تستمد معناها من خلال الطريقة التي نستعمل فيها اللغة، فتحدث عن «ألعاب لغوية» وهي التي تصوغ المعنى وتقدم الدلالة لما يقابلها في العالم الخارجي. فلم يعد للغة منطق وحيد بل ممارسات لغوية مختلفة، لكل منها منطقه الخاص وقواعده الخاصة، وذلك رغم وجود عوامل مشتركة بينها جميعا.

تنشأ المشكلات الفلسفية بفعل استخدام الكلمات في لعبة لغوية ما وفق قواعد لعبة لغوية أخرى، في حين تكون هناك «تشابهات عائلية» بين لعبة وأخرى، واللغة بوصفها فاعليةٍ تستند إلى كلمات هي بمثابة أدوات، ووظائف الكلمات تتنوع مثل وظائف الأشياء التي توجد في صندوق العدة (المنشار، الطرقة، الكماشة،.. . إلخ). إن تصورنا للغة هو بمثابة تصورنا للحياة التي تقوم على أساس ثقافي، وما محاولات

التسويغ والجدال بهدف الإقناع سوى مجرد عمليات تجري داخل نسق لا يمكن تسويغه، لذلك لا تستطيع لعبة اللغة التنبؤ بشيء في هذا العالم. وهذه مقولة خطيرة فيما يتعلق بالعلم!

واللغة تستعمل للتعبير عن أفكارنا، والأفكار التي تقدمها اللغة تعكس صوراً منطقية للعالم، إذ يتكون العالم من مجموعة من الوقائع تصف ارتباط الأشياء فيما بينها لتصنع حالات من أشياء هي جواهر ثابتة للعالم، وهذه الأشياء الممكنة في العالم تحدد المجتمع التي يعيش فيه الإنسان.

أما تبرير الاعتقاد الديني بمعطيات تجريبية فقد رفضه فتجنشتين، بينما مقاربته للظواهر التي توجد خارج هذا العالم، أي الميتافيزيقا، فإنها تبرز الأثر الذي تركه كل من القديس أوغسطين وشوبنهور في تفكير فتجنشتين.

جون ديوي John Dewey

(1952 – 1859)

فيلسوف وعالم نفس تجريبي أميركي وعميد الفلسفة الأميركية، اكتسب شهرته في مجال التعليم داعياً لتعليم الأطفال بالتطبيق العملي. ترك ديوي إعجابه بالفلسفة الهيجيلية لصالح البراغماتية واعتنق المذهب الداروني الطبيعي من حيث أن العالم بأسره يتعرض لتطور دائم عبر العلاقات البينية بين أجزائه المختلفة. وفي ضوء ذلك أيضاً اعتقد أن الفكر ينبغي أن يُفهم في إطار علم الجينات، وأن المعرفة تضبط هذه العلاقات البينية وتوجهها، وهي مسألة أطلق عليها لقب ذرائعية Instrumentalism.

عند جون ديوي المعرفة والتفكير مرتبطان بالعمل والتجريب ولا ينفصلان عنه، فمن خلال التجربة تحدث المعرفة. والمعرفة والميول الإنسانية يتم توارثها جيلاً بعد جيل، ولكن الميول الموروثة غير ثابتة، فهي متغيرة وفقاً للمحفزات الموجودة في البيئة. وقد تطور العقل البشري على هذا الأساس، وفي سياق علاقة جدلية قائمة دوما بين الإنسان والطبيعة ومجتمعه، فلا يمكن للنفس أن تنمو في معزل عن بيئة نشطة، كذلك لا يمكنها أن تنمو بالاتصال بالطبيعة وحدها دون الاتصال بالبشر.

طرح ديوي نظرية في البحث والاستقصاء المعرفي، حيث يمتلك الناس عادات تتغير بحكم التجربة، فتتشكل نتيجة لذلك تصورات جديدة تباعاً باستخدام العقل وموهبة التخيل المبدع، بحيث يقوم المرء بطرح فرضيات جديدة ومراقبة تداعياتها، ومن ثم اختيارها عبر التجربة، فإذا نجحت تقبل ويتم اعتمادها، وإذا لم تنجح رفضت الفرضية (شيء شبيه بفكرة كارل بوبر Falsification- Verification). ومقياس النجاح هو

مدى نجاح الفكرة وعمليتها، فإذا كانت ناجحة ومفيدة تكون الفكرة أو الفرضية أقرب إلى الحقيقة والواقع.

وطبّق ديوي النظرية ذاتها على الأخلاق والتعليم والنظرية الاجتماعية، فمثلاً التعليم ينبغي ألا يكون وعظياً بل أقرب إلى الجانب العملي باستخدام المخيلة مع أخذ مواهب الأطفال واهتماماتهم بعين الاعتبار. وفي مجال الأخلاق فإن القضايا الناجحة هي تلك التي تسهم في تحسين أحوال الناس المادية – الاجتماعية والاقتصادية والنفسية.

مور Moore

(1873 – 1958)

جورج ادوارد مور فيلسوف إنجليزي عاصر برتراند راسل ولودفيك فتجنشتين وزاملهما في جامعة كامبردج، ودعا إلى فلسفة تستند إلى الفطرة السليمة Common Sense رافضاً كلاً من المثالية والتجريبية المطلقة. ويُعد إلى جانب رسل من مؤسسي الفلسفة التحليلية في مطلع القرن العشرين، إذ أسس مع راسل الفلسفة التحليلية على أساس أكثر واقعية باستخدام اللغة العادية القائمة على الفطرة السليمة، حيث قال إن استخدام اللغة العادية البسيطة يؤدي إلى اختفاء قضايا فلسفية إشكالية في المعنى وحول الحقيقة. وبذلك كان رائد الحركة الواقعية الجديدة.

دعا مور إلى «تحليل المعاني» إذا رغبنا في الغوص أكثر في طبيعة المفاهيم والتعريفات والروابط القائمة فيما بينها. ووضع نظرية «الهوية في الحقيقة». فالمفاهيم يمكن أن تقوم على تحليلها بطريقتين، فإما تحليلها إلى أجزائها البسيطة، أو يتم تعريفها عبر علائقها وتمايزها عن مفاهيم أخرى. وهكذا كان مور فيلسوفاً للفلاسفة من حيث أنه عمل على كشف مغالطاتهم وأخطائهم وفضح شتى ضروب الخلط الذي حفلت به المذاهب الفلسفية.

اهتم مور بالعلاقة بين اللفظة في جملة معينة وبين معنى الجملة، وحذّر من الخلط واللبس الذي قد يقع نتيجة خلط معاني الكلمات التي تعبر عنها أفكار محددة وحقيقة الأشياء التي تشير إليها الكلمات. كما رفض وجود تعريف اختزالي للقيم الأخلاقية السلوكية، فموضوع الأخلاق هو الخير وليس السلوك، وهكذا يمكن القول إن مور مؤسس المنهج اللغوي في دراسة الأخلاق.

فبعد سيطرة الفكر الهيجلي المثالي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على فكر الفلاسفة أعاد جورج ادوارد مور الفكر إلى قاعدته الأصلية كفكر تجريبي، فتغيرت فيه وظيفة الفلسفة من بناء أنساق تأملية ميتافيزيقية إلى نشاط لغوي تحليلي يفكك النصوص ويسعى إلى توضيح معاني الكلمات وفقاً للفهم الإنساني البسيط، مع التركيز على تحليل التطورات والقضايا الفلسفية من خلال منهج واضح وخطوات محددة.

برتراند راسل Bertrand Russell

(1970 – 1872)

فيلسوف إنجليزي اكتسب شهرته خلال محاولاته رد الرياضيات إلى المنطق، فيما بات يسمى بمذهب الذرية المنطقية، ويُعد إلى جانب جورج مور من مؤسسي الفلسفة التحليلية في مطلع القرن العشرين. سجن خلال الحرب العالمية الأولى لمواقفه السلمية من الحرب، وفي مراحل حياته الأخيرة ناضل لمنع انتشار الأسلحة النووية، وكان من أشد منتقدي حرب الولايات المتحدة على فيتنام.

من أهم إنجازاته الفلسفية اعتقاده أن الرياضيات يمكن اختزالها إلى منطق، فضلا عن نظريته في الذرية المنطقية Logical Atomism، ونظريته في الأوصاف المحددة Definite Descriptions. فبإمكاننا استخدام المنطق الرياضي لتحليل قضايا مكتوبة بلغة عادية، وهي مسألة فتحت الباب أمام ما يسمى بالفلسفة التحليلية منذ أن انطلقت مع جورج مور.

كما طبق راسل طريقته في المنطق على سؤال المعرفة بدءاً من تحليل القضايا المعرفية المكتوبة بلغة عادية وجعلها في قضايا بسيطة متعددة (قضايا ذرية) ليسهل التأكد من صدقها، فإذا كانت إحدى القضايا كاذبة فالجملة كلها تكون كاذبة.

سادت الفلسفة المثالية الألمانية، المتمثلة في فلسفة هيجل، في كل من إنجلترا (عبر مدرسة أكسفورد، مثل فلسفة برادلي مثلاً) وفي أميركا (مثل فلسفة رويس مثلاً)، فيما جَاء الرد من الفلسفة الإنجليزية التجريبية عبر جون استيوارت مِلْ وبرتراند راسل وجورج مور. وباتت مهمة الفلسفة عند راسل هي تحليل القضايا، وخاصة قضايا العلوم،

بحيث يتم ردها إلى قضايا ذرية بسيطة للتحقق من صدقها أو كذبها، ومن هنا سميت فلسفته بالواحدية المحايدة (أو الهيولي المحايدة).

والواحدية المحايدة هي نظرية تقول إن العقل والمادة لا يختلفان جوهرياً، فكلاهما مشتق من هيولي (أي مادة أولية) محايدة، فإذا ارتبطت الأجزاء بمجموعة معينة من العلاقات أسميناها عقلاً، وإذا ارتبطت بمجموعة مختلفة من العلاقات أسميناها مادة. أما ما نسميه «العقل» في الأفراد، فهو سلسلة طويلة من حاضرات حسية وصور ذهنية تخلو من أي عنصر غيبي خفي. فالإشعاعات التي تبعث من الأشياء هي الهيولي المحايدة التي يتشكل منها كل من العقل والمادة، فإذا جُمعت الإشعاعات التي تصدر عن شيء موجود فنقول أنه شيء مادي، وإذا جُمعت الإشعاعات في نقطة معينة، كجهاز عصبي وأعضاء حس، فيكون عقلاً.

هيدجر Heidegger

(1976 – 1889)

مارتن هيدجر فيلسوف ألماني من أكثر الفلاسفة إشكالية سياسيا في القرن العشرين بسبب مواقفه المترددة من ديكتاتورية هتلر النازية. يُعد فيلسوفاً وجودياً (أنظر فلسفة كيركيجارد) صب جل اهتمامه على أنطولوجيا الوجود Being. درس على هوسرل وخاض حياته الفكرية في أكثر من مرحلة شاقة، حيث كانت كتاباته المتأخرة أكثر غموضاً من كتاباته المبكرة التي اتسمت ببحثه في الوجود، حيث اغترب الإنسان عن ذاته الأصيلة. كان هدفه كشف «الموجود هناك» – الكينونة – Dasein في هذا العالم.

وفي كتابه «الكينونة والزمان»، أو «الوجود والزمان»، بحث هيدجر عن زمانية المكان، وماهية العقل الإنساني، وأزمة حداثة التنوير، وانسحاب آداب التألّه من الإنسانية المعاصرة، والخطر المحدق ببيئة العالم.. . وما إلى ذلك. وهدف الكتاب إنشاء نظرية متكاملة حول الكينونة عبر وصف الكائن الحي – مادتها الأولى، الذي عده الطريق الوحيد لمعرفة حقيقة الوجود المطلق.

وهدف التفلسف هو الكشف عن معنى الوجود الإنساني ومحاولة تحريره من مثالب الأداتية والتشيؤ، أي تجنيبه أن يصبح أداة أو شيئا في عصر التكنولوجيا. أما الموت فهو التجلي المطلق للعدم الذي يكشف عن نفسه عبر الشعور بالقلق، أي أن القلق الوجودي المسيطر على الإنسان هو الذي يكشف عن الموت (العدم).

Telegram:@mbooks90

والحرية هي جوهر الوجود في هذا العالم، فالإنسان يصنع نفسه ويصنع عالمه المحيط به، ولكن لا يجد الإنسان نفسه إلا إذا كان حراً.

وفي غياب الحرية يظهر مفهوم الوجود الوهمي عندما يعاني الإنسان من الاغتراب، فيتقمص الآخرين عندما لا يجد نفسه، أي أنه يكون في مرحلة تمثل صنفاً من عدم الوجود. والهروب من مسؤولية القلق هو هروب يؤشر إلى نهاية الإنسان.

تتميز أهمية فلسفة هيدجر في تاثيره الهائل على المدارس الفلسفية التي انتشرت في القرن العشرين، مثل الوجودية والتفكيكية (أنظر، مثلا، فلسفة جاك دريدا) وما بعد الحداثة. ولكن هناك خصوصية لفلسفة هايدجر، ففي «رسالته في الإنسية» يتميز تصوره الأونطولوجي عن المذاهب الأخرى، ومنها، على سبيل المثال، الوجودية.

والحرية عند سارتر لا تختلف كثيراً عنها عند هيدجر، فعند سارتر في كتابه «الوجود والعدم»، يغدو كتابه بمثابة إنجيل للوجودية المعاصرة. فهناك نوعان من الوجود: وجود الإنسان لذاته، ووجود الأشياء، وهو الوجود في ذاته.

سارتر Sartre

(1980 – 1905)

جان بول سارتر فيلسوف فرنسي يُعد من مؤسسي الفكر الوجودي الحديث، ومن الروائيين والمفكرين السياسيين الذين دافعوا عن الفكر اليساري، حيث غدا من الشخصيات المؤثرة والمرموقة في المجتمع الثقافي الفرنسي. ويُعد سارتر من الوجوديين الملحدين، إلى جانب هيدجر، بينما هناك وجوديون مؤمنون مثل جبريل مرسيل وكارل ياسبرس.

شارك في الحرب العالمية الثانية ووقع أسيراً بيد الألمان، وبعد تحريره من الأسر انظم إلى المقاومة الفرنسية، أما بعد انتهاء الحرب فأصبح كاتباً وفيلسوفاً. ويشار إلى مواقفه بأنه رفض مؤسسة الزواج وعدّها فكرة برجوازية.

ومن أهم أعماله «الوجود والعدم» في الفلسفة، حيث ميز بين الوجود في ذاته والوجود لذاته، والفكرة المحورية في فلسفته هي أن «الوجود يسبق الجوهر، أو الماهية» الذي يعني أننا ننتج أنفسنا من خلال وجودنا أولاً وعبر تجاربنا وممارساتنا المجتمعية، وبالتالي نحن مسؤولون عن سلوكنا وأعمالنا، ولذلك نحن أحرار، وقدرنا أن نكون كائنات حرة تتحمل كل هذه المسؤوليات والأفعال في حين تمتلك حرية الاختيار. والحرية والاختيار هما أساس الحكم على الموضوع الاخلاقي.

يقول سارتر: أنا موجود بين عدمين، فخلفي عدم وأمامي عدم، والقلق يأتي من الخوف من عدم وجودي فيَ المستقبل، وفي مواجهة ذلك ينبغي بناء النفس وبناء العالم على قيم ما فتصبح حريتي هي القدرة على الاختيار بين هذه القيم، ويكون الاختيار حراً، أي غير قائم على

معلومات مسبقة من أديان أو عادات أو تقاليد، وفي سياق ذلك نقع في قلق جديد وهو قلق الاختيار. وفي واقع الحال يهرب الناس من هذا القلق ومن مسؤولية الاختيار عبر لوم الآخرين، أو لوم القدر، ولكننا بالرغم من ذلك نظل أحراراً فقط طالما كانت لدينا خيارات حرة.

وفي كتابه «نقد العقل الجدلي» الذي لم ينجزه، راجع سارتر موقفه من الوجودية، إذ حاول التوفيق بين اعتقاداته الوجودية والماركسية، فكانت النتيجة تركيبة قوية من الاثنين، حيث الحرية الفردية باتت تحكمها ظروف سياسية واجتماعية تاريخية، الأمر الذي بات يوحي بصراع جمعي (أو طبقي، إذا شئت) وهو بمثابة المحرك للتاريخ البشري.

لم تكن ماركسية جان بول سارتر شيوعية، بل من النوع الاشتراكي الحر حيث يقوم المجتمع على أساس من الحرية الفردية الخالصة، وعلى فكرة إلغاء «الشح المادي»، وهي فكرة لم يشرحها سارتر تماما.

ميشيل فوكو Michel Foucault

(1926 – 1984)

تُعد أفكار الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو حول اللغة، والمرض الذهني، والجريمة، والحالة الجنسية، أفكاراً أثرت في علماء الاجتماع كثيراً، فضلاً عن صياغتها اتجاهات الفلسفة الفرنسية بشكل عام. كان فوكو من أعلام الفلسفة البنائية Structuralisms بالإضافة إلى كونه من النشطاء السياسيين من دعاة حقوق المضطهدين والمستضعفين، ومن دعاة زيادة التسامح مع الأقليات، وتحديداً المثليين.

رفض فوكو، مع زميله كلود لفي شتراوس، فكرة أن المعرفة الإنسانية بهذا الكون مبنية على ملاحظتنا عن العالم الخارجي، فالإنسان حيوان مفكر يعيش في عالم قابل للإدراك نتيجة تطبيق معاييره الذهنية، الموجودة أصلاً في ذهنه وبطريقة مسبقة، فهو يقوم بتطبيق معاييره الذهنية المسبقة على تجاربه في هذا العالم. وهذه هي فكرة الفلسفة البنائية بصورة عامة.

أما على الصعيد الاجتماعي فالعلاقات بين الناس هي في صراع دائم على السلطة، لذلك فإن مفاهيم مثل: صحيح، خطأ، حقيقة،... إلخ، هي مجرد أوهام مصدرها اللغة والرغبة في الهيمنة والسيطرة على الآخرين. ولا يوجد في المجتمع من فضائل، كالإحسان والعمل الخيري، بل مؤسسات، كالمدارس والمشافي والسجون، ويكون هدفها هو السيطرة على الناس وإخضاعهم لنماذجها الأخلاقية.

فمرحلة التنوير Enlightenment التي قامت على العقل لم تفعل ذلك إلا لإخفاء الحقد الاجتماعي السائد بين طبقات المجتمع. فالسيطرة الآيديولوجية على العقل هي وسيلة أكثر كفاءة بكثير من معاقبة الجسد

وقمعه.

المجتمع الحديث عند فوكو قام بتصنيف الناس إلى فئات وجعلهم أشياء منعزلة عن محيطهم، أي أنهم باتوا شخوصا ذاتية علاقتهم مباشرة مع السلطة، فأصبح الإنسان يفهم ذاته عبر فهم علاقته مع السلطة بدلاً من فهم ذاته عبر علاقته مع الناس الآخرين. وبالرغم من ذلك فهناك فسحة أمل في أن تقوم الفلسفة بتعرية بنية السلطة المهيمنة علينا، وبالتالي خلق بنية مجتمعية جديدة هدفها تقليل احتمالية الهيمنة على الناس مرة أخرى.

أعطى فوكو مفهوماً آخر للسلطة غير كونها متمثلة في أجهزة الدولة والقوانين، فهناك سلطة الأب، وسلطة المدرسة، وسلطة الزوج، وما إلى ذلك، وكلها تعمل لصالح الخطاب السلطوي السائد. فالسلطة أصبحت ذات امتداد أفقي بعد أن كانت عمودية هرمية.

ويؤكد فوكو على القطيعة المعرفية التاريخية في حال تطور المجتمعات، وليس كما تروي الماركسية بأن التطور يحدث على أساس الصراع الطبقي، كالصراع بين البرجوازية وطبقة العمال، على سبيل المثال؛ وقد شرح هذه الأفكار في مؤلفاته: تاريخ الجنون، وتاريخ الجنسانية، وتاريخ المراقبة والمعاقبة.

بوبر Popper

(1994 – 1902)

يُعد الفيلسوف النمساوي ذي الأصل اليهودي كارل بوبر من أعظم فلاسفة العلم في القرن العشرين، فضلاً عن كونه مفكراً سياسياً واجتماعياً دافع عن فكرة المجتمع المفتوح الذي يعود في جذوره إلى الديمقراطية الأثينية، والذي عارض أفكار أفلاطون في رؤيته للمدينة والجمهورية التي خطّ فيها نهجاً توتاليتيرياً صارما، من حيث الوظيفة الطبقية الثابتة والتربية المجتمعية الصارمة. كما نقد كلا من ماركس والماركسية في الجزء الثاني من كتابه «المجتمع المفتوح وأعداؤه». وتقوم فلسفته النقدية على تقويض فكرة الاستقراء، وتحرير الفلسفة من قيود التحليل اللغوي، وتوسيع مجال نظرية المعرفة.

وبتأثير من التهديد الذي وجهه اينشتاين لفيزياء نيوتن، رأى بوبر أنه رغم التأكيدات المتتالية للنظريات العلمية فلا يمكن الاعتماد عليها بوصفها حقائق نهائية، إنما يمكننا القول إن هذه النظريات لم يثبت فشلها لغاية الآن. وهكذا أطلق على منهجه هذا «نظرية في التكذيب»، حيث يمكن الوصول إلى قواعد واضحة تحدد الفرق بين العلم الجيد والعلم الكاذب Pseudo-science كالتحليل النفسي، ويتم ذلك عبر محاولات تكذيب مستمرة للنظريات في فضاء محكمة التجارب الواقعية التي لا تتوقف.

قدّم بوبر نظرية في المعرفة، من حيث أن الواقع الخارجي مستقل عن العقل الإنساني، كما افترض أن الواقع يختلف عن تجارب الإنسان الحسية بصورة راديكالية، لذلك بات من الصعب علينا فهم العالم الخارجي فهماً مباشراً وتاماً. لذلك ينبغي إتباع منهج التحقق، فبدلاً من السعي للحصول على حقائق نهائية ينبغي علينا السعي صوب استبدال نظريات قائمة

بأخرى أفضل منها تقاوم الدحض، ولو إلى حين.

وفي عالم السياسة، حاول تطبيق منهجه في العلم الطبيعي على العلوم السياسية والاجتماعية، فافترض أنه لا يوجد نظام نهائي مطلق، وأنه من غير المقبول الرضوخ لأي أفكار مسبقة يحاول أي نظام سياسي تطبيقها على المجتمع. فما المطلوب اذا؟

المطلوب هو مجتمع مفتوح على الحوار والنقد الموضوعي، حيث هامش الحرية يكون كبيراً ويَسمح بالنقد والحوار، وحيث تكون المعارضة ممكنة، وحيث يكون هناك متسع من الليونة في نظام الحكم لاستيعاب التغيرات الدائمة التي تطرأ على البنية الاجتماعية - السياسية.

توماس كون Thomas Kuhn

(1996 – 1922)

فيلسوف علم أميركي يُعد من أكثر فلاسفة العلم تأثيراً في القرن العشرين، إذ صارت نظريته في الثورات العلمية مبدأ أساسياً في تطور الفكر العلمي الحديث، حيث أعادت نظريته صياغة فهمنا لطبيعة العلم وتطوره. فالعلم هو نشاط عقلي وعملي دائم التطور في سعيه نحو الاقتراب من الحقيقة، وفي سياق هذا التطور فإننا ننتقل من ثورة إلى أخرى وذلك في سياق تبدل الإشكالية المفهومية لدينا التي تشكل برادايما Paradigm نرى العالم من خلاله وذلك عبر قوانينه الطبيعية وتقنياته السائدة وثقافتنا المسيطرة.

وفي خضم سعي العلماء لحل المشكلات العلمية، فإننا نصل إلى فتوحات في تفسير العالم وبالتالي ننتقل من مستوى فكري ما: براديم Paradigm إلى آخر أكثر حداثة. ويضرب مثل نموذج كوبرنيق الذي أحدث ثورة في فهم نظامنا الشمسي حول مركزية الشمس في مقابل مركزية الأرض التي سادت نحو ألفي عام واعتنقتها الكنيسة في القرون الوسطى. كذلك الحال في نموذج أينشتين الجديد الذي أحدث ثورة في فهم الجاذبية والحركة والزمان والمكان مقارنة بالنموذج النيوتوني (نسبة إلى إسحق نيوتن).

وبمرور الوقت امتدت نظرية توماس كون في الثورات العلمية لتشمل العلوم الاجتماعية، حيث تقوم الثورة السياسية مثلاً على إزاحة تصورات ومعتقدات جماعية سياسية ما لتحل محلها معتقدات أخرى، كحال الانتقال من مرحلة الاقطاع إلى البرجوازية، مثلا، حيث تترسخ معتقدات سياسية – اجتماعية - اقتصادية جديدة.

وفي كتابه «بنية الثورات العلمية» The Structure of Scientific Revolutions يرفض فكرة أن تاريخ العلم هو تطور تراكمي تدرجي وأن النظريات العلمية الجديدة تنطلق من حيثما توقفت النظريات السابقة، وهو هنا في انسجام مع فيلسوف القطيعة الابستمولوجية غاستون باشلار Gaston Bachelard والتي كانت افكاره أعم من فكرة توماس كون. ولكن فكرة كون الأساسية هي أنه عندما تخرج الطبيعة من توقعاتنا للأحداث فيها فإننا نقوم بتعديل البرادايم عبر نظريات جديدة بحيث يصبح ما كان شاذاً من ظواهر حادثة واقعية متوقعة لنا القدرة على التنبؤ بها في هذا العالم؛ وبذلك تتحقق الثورة العلمية ويتم الانتقال من براديم إلى آخر أكثر تطوراً، كما حدث في تاريخ الرياضيات والفيزياء وغيرهما.

ويلاحظ توماس كون أن تجاوز البرادايم يتم غالباً من قبل العلماء الشبان بوصفهم غير ملتزمين تماماً بالبرادايم القديم، وبقيوده، وقيود النظريات العلمية السائدة وفرضياتها، ففي حالة ظهور أزمة في مجال ما من مجالات العلوم فإنهم يتحولون بسرعة إلى استكشاف طرق حل جديدة خارجة عن الإطار المألوف والمتعارف عليه، كما تم في حالة اكتشاف الأكسجين والكهرباء، على سبيل المثال.

جون رولس John Rawls

(2002 – 1921)

يُعد الفيلسوف السياسي الأميركي جون رولس من أكثر فلاسفة السياسة نفوذاً منذ الحرب العالمية الثانية، حيث صاغ نظرية في العدالة مفادها أن حقوق الأفراد يجب أن يكون لها أولوية على فكرة الخير العام Common Good. أنقذ رولس الفلسفة من اشتغالها بالأسئلة المنطقية واللغوية وفلسفة العلم فقط، وأعادها إلى دائرة الأخلاق، أي إلى مستوى العدالة الاجتماعية، وحدود الحرية والمسؤولية في المجتمعات.

تعامل رولس مع مفهوم العدالة من حيث أنه هو الإنصاف Fairness، ورأى أن النظام القانوني ينبغي أن يتم تعديله بحيث يصبح منصفاً للجميع، بما في ذلك مجموعات الأقليات. وفي ذلك تعارض مع فكرة المذهب النفعي Utilitarianism في الفكر الليبرالي الغربي الذي يرى أن ما هو جيد هو الذي يحقق السعادة للغالبية العظمى من أعضاء المجتمع، حيث يرى رولس بالمقابل أن في ذلك انتقاصاً لحرية ومنفعة باقي أفراد المجتمع الذين هم دون الأغلبية.

صاغ رولس قواعد أساسية للانطلاق منها صوب تحقيق نظريته، **وأولى** هذه القواعد قاعدة تحقيق الحرية لكل فرد على قدم المساواة مع الآخرين، **والثانية** هي قاعدة العدالة بحيث يتمتع كل شخص بفرص متساوية. وإذا حدث أن حصل تصادم بين القاعدتين تكون الأولوية لقاعدة الحرية، ولكن بشكل عام فإنه من الضروري اختيار هذه القواعد في مواجهة الفطرة السليمة Common Sense للإنسان بحيث تصل القاعدتان إلى مستوى التوازن.

تتمثل أعمال رولس المهمة في الفلسفة السياسية في إعادة تعريف

معنى الليبرالية، ففي كتابه «الليبرالية السياسية» ركز على الفرق بين الليبرالية بوصفها فلسفة حياة وبين دورها كعقيدة سياسية، وقد أفصح عن هدفه في ذلك البحث والمتمثل في الوصول إلى إجماع حول مناطق التقاطع والالتقاء بين الفكرتين.

يقر رولس أن المجتمع البشري إما أن يكون عادلاً أو غير عادل، وأن العدالة هي الفضيلة الأولى، لذلك جمع بين السياسة والأخلاق وكشف عن الوضع الأصلي للناس المتمثل في «حجاب الجهل» الذي يحجب الرؤيا عن وضع الناس في الحاضر والمستقبل، كما كشف عن أن التمايزات الطبقية بين الناس هي من نتاج «فوضى الطبيعة» التي يجب أن نتجاوزها إلى مستوى العدالة والإنصاف. لذلك يؤكد على أولوية الحرية السياسية على التوزيع الاقتصادي، وهو في ذلك يحاكي معارضته للنموذج الصيني الذي حقق نمواً اقتصادياً هائلاً ولكن على حساب التخلي عن مبدأ الحرية السياسية.

جادامر Gadamer

(2002 – 1900)

يُعد الفيلسوف الألماني جادامر القوة الدافعة وراء تأسيس فلسفة التأويل المعاصرة، وذلك بالاشتراك مع بول ريكور. تتلمذ على هايدجر وعارض فكرة الوضعية المنطقية المتمثلة في أن المنهج العلمي هو الطريق للكشف عن الحقيقة، ذلك لأنه طالما أن العلم ينتجه البشر فهو ذاتي وليس موضوعياً، والحقيقة في التاريخ والثقافة والمجتمع يمكن الوصول إليها عبر الحوار حول هذه الموضوعات، وذلك بالاستماع إلى التاريخ كما تكشفه التقاليد والمؤسسات، وعبر التأمل في الثقافة كما تتمظهر في الفن، وخاصة الأدب.

أما في شأن المعنى، فرأى جادامر أن المعنى يعتمد على الخبرة والتجربة استناداً إلى اللغة، فالوجود البشري مرتبط باللغة أيما ارتباط، وتطور الإنسان مرتبط بتطور اللغة عبر الزمن، والكشف عن المعنى للوصول إلى الفهم إنما يتطلب الحوار. وقال إن النظرية الجيدة في الإنسانيات هي تلك التي تظهر من خلال الخبرة والتجربة العملية. وقد توسعت الفلسفة التأويلية لتمتد اذرعها إلى ما وراء التفسير النصي لتشمل تأويل الكلام (التعبيرات اللفظية) وتأويل السلوك (التعبيرات غير اللفظية).

يسخر جادامر من فكرة الوعي التاريخي القائم على منهج التخلص من الذاتية، ويعد المعرفة القبلية بالواقع شرطاً وجودياً لحصول الفهم، لأنها هي قادرة على تحديد أسئلته تجاه النص، فمن دونها لا يمكن أن يصدر السؤال المناسب أو أن يقوم حوار مفيد، وبالتالي لا يمكن الوصول إلى الفهم الأصيل المنشود. وعندما يحصل ذلك الفهم فإنه يكون فهماً تاريخياً محكوماً بالشروط المادية والتاريخية التي تتم فيها المعرفة،

وبالتالي ليس هناك أي تفسير نهائي ثابت لا يتغير.

إن مهمة التأويل في النهاية هي تجاوز الاغتراب Alienation في الأنظمة الإنسانية، وبشكل أساسي فإنها تقف في مواجهة الاغتراب للوعي الجمالي، والاغتراب للوعي التاريخي، علماً بأن خبرة الوعي الجمالي عبر الفن تتشكل جنباً إلى جنب مع خبرة التاريخ والفلسفة المتراكمة. وعبر محاولات تفسير معنى هذه الظاهرة الاغترابية يكون قد تم الكشف عن أسبابها الواقعية، وفي النهاية يتم تجاوزها إلى شيء أكثر رقياً وذلك بهدف جعل الحياة الإنسانية أكثر رقياً وأقل اغتراباً.

جاك دريدا Jack Deride

(2004 – 1930)

فيلسوف فرنسي من مواليد الجزائر ومن أصول يهودية، يُعد من مؤسسي فلسفة التفكيك Deconstruction لما بعد الحداثة التي لا تعترف بوجود حقيقة نهائية أو معنى مختصر أو مستوى مفاهيمي ثابت، فهناك معان مختلفة للمفهوم الواحد وفق اختلاف الزمان والمكان. وقد وضع دريدا عدة تعريفات للتفكيكية لصعوبة الموضوع. فالمعنى يمكن استنباطه فقط عبر أحداث شخصية محددة، والكلمة الواحدة قد تحمل أكثر من معنى في أحوال زمانية ومكانية مختلفة؛ وأن الظروف الموضوعية وعدم حيادية الباحث هي التي تضفي التفسير الذاتي على المعنى اللغوي. كما أن فكرة الأنا هي مجرد بناء لغوي.

انتشرت الفلسفة التفكيكية عند المثقفين الغربيين، واتسع تأثيرها ليشمل الفن، والعلوم الاجتماعية، والأدب، والعمارة. ففي الأدب شرع النقاد في تفكيك النصوص إلى جمل منفصلة للكشف عن المعاني الخفية. كذلك استخدم المفكرون الراديكاليون التفكيك في الدفاع عن الحركات النسوية وحركات التحرر في دول العالم الثالث، للكشف عن الاضطهاد والتمييز العنصري الواقع ضدهم. أما مهندسو العمارة فقد تخلوا عن التناظر في تصميم الأبنية لصالح عدم التناظر Asymetry، كذلك تبدى تأثير التفكيك في الأفلام، فظهرت أفلام مثل Deconstructing Harry للمؤلف السينمائي وودي الن Woody Allen.

تنزع هذه الفلسفة التفكيكية إلى رؤيةِ المعارف كلها بوصفها نصّانيّة، أي أنها لا تتكون من مفاهيم فقط إنما أيضاً من كلمات ونصوص مرنة الفهم والتفسير، فكلمة «الجبن» مثلا قد تعني الجبن الذي يؤكل أو قد تعني ما هو عكس الشجاعة، فلا يوجد يقين في المعرفة على الإطلاق

وإنما تستمد الكلمات معناها من كلمات أخرى، وهكذا. فلا يوجد ارتباط طبيعي بين الكلمة والفكرة أو المفهوم الذي تمثله، لذلك لدى الكلمة استقلالية ولا يوجد معنى ثابت لها، وبالتالي فإن النصوص لديها أكثر من تأويل واحد.

وتشكل الكلمات مشكلة في الميتافيزيقا لأنها بحاجة إلى إعادة تفسير باستمرار، فهي حمّالة أوجه، وبالتالي ليس لها معان ثابتة لأنها تسعى إلى الحصول على مفاهيم مطلقة، أي تتخطى الماضي والحاضر والمستقبل، لذلك من الصعب تعريف مفاهيم مثل الخير، والله، وذلك بشكل مبسط ويقيني ونهائي. والتفكيك يحاول استخراج المعاني الخفية في النصوص التي ربما لا يقصدها المؤلف بالضرورة، إذ يقول دريدا: هدف التفكيك هو «إيجاد الصدع الذي يمكن من خلاله رؤية بصيص غير مسمى أبعد من الفتحة التي يمكن رؤيتها».

خلاصة فلسفة دريدا التفكيكية تتمثل في تحليل اللغة والنص للكشف عن التناقضات والمزاعم والافتراضات القائمة عليه، والتي تجعل منه نصا متغيرا في الزمكان، وتميزه بمعنى متغير ومؤجل وغير مكتمل. وعلى المستوى السياسي والأخلاقي سعى إلى توضيح فكرة تأثير السلطة على الثنائيات المتقابلة في اللغة، كالذكر والانثى، والصالح والشرير، والمؤمن والكافر... ، لذلك سعى إلى تفكيك الخطاب السلطوي بهدف الوصول إلى مزيد من العدالة الاجتماعية والمساواة.

Page ... Jacques Derrida (1930 – 2004)

نعوم تشومسكي Noam Chomsky

(2022 - 1928)

فيلسوف أميركي يُعد من أهم فلاسفة اللغة المعاصرين ومن أكثرهم راديكالية في مواقفه السياسية. تصور تشومسكي أن اللغة هي المَركبة أو الآلية التي تتحرك بواسطتها الأفكار، ورفض الأفكار التجريبية الخالصة التي تدّعي بأن المعرفة في العقل تنقش على لوحة بيضاء، كما قال جون لوك، فتحدث عن أفكار فطرية منقوشة مسبقاً في العقل البشري. كذلك قال إن اللغات كافة تتشارك في نحو لغوي كوني واحد مفطور في الدماغ البشري، وإنها ليست بحاجة إلى تعليم وممارسة. وقد استشهد بأبحاث كلود لفي شتراوس المتمثلة في أن بنية اللغة عند القبائل الهندية البدائية في غابات البرازيل هي ذاتها البنية اللغوية للغات الأوروبية.

إن القواعد اللغوية لأي لغة لها بنية عميقة وتاريخية وفطرية، وأخرى سطحية تعتمد على البيئة والممارسة. وقد أصبحت أفكاره محط اهتمام الباحثين في شأن مهارات تعلم اللغة عند الأطفال، فالطفل يولد باستعداد فطري لتعلم اللغة، وكأن بنية اللغة المتمثلة في النحو وتركيب الجمل مطبوعة في ذهنه منذ الولادة، ولا تعتمد على البيئة الاجتماعية للطفل، حيث إن تأثير البيئة ثانوي، فيما تكون قواعد لغة الطفل الأولى مختلفة عنها عند البالغين.

ويرى الناقدون أن البراعة اللغوية الفطرية في معتقد نعوم تشومسكي لا تقبل التعليل السببي أو التفسير العلمي لأنها من خصائص الروح الإنسانية الغامضة والأفكار الفطرية الأفلاطونية التي تعلمناها في عالم المثل، وهي أيضا عودة إلى فلسفة رينيه ديكارت وأفكاره الفطرية. بذلك يكون المنهج البنيوي عند تشومسكي قد أصبح معزولاً عن التطور

النشوئي والصيرورة التاريخية. وهذا الموقف يتعارض مع النظرية السلوكية في تعلم اللغة، ومن أعلامها Skinner، والتي تزعم أن تعلم اللغة يتم بالممارسة والتجربة وبتأثير من البيئة.

ويُعد تشومسكي مؤسس علم اللسانيات الحديث، ومن بين كتبه في اللسانيات «الهياكل النحوية»، و«اللغة والعقل»، و«جوانب نظرية بناء الجملة»، وفي السياسة كان آخرها «قداس الحلم الأميركي: المبادئ العشرة لتركيز الثروة والسلطة». كما يُعد من أشد الناقدين للطريقة التي تتم فيها عملية استخدام اللغة للسيطرة والهيمنة على النشاط والمعرفة الانسانية، وذلك عبر وسائل الإعلام والممارسة السياسية التي تصوغ فهمنا للعالم من حولنا وللعلاقات الاجتماعية فيه.

ولتشومسكي مواقف متشددة من السياسة الأمريكية الخارجية، فضلاً عن دعمه لقضايا الشعوب التي تناضل للتحرر من الهيمنة الاستعمارية، كالقضية الفلسطينية. وفي كتاباته السياسية يناقش دعم الولايات الأمريكية للدول القمعية في العالم ويكشف عن نشاطاتها الامبريالية. كذلك يدافع عن الاشتراكية الليبرالية كآلية للحكم تدعو للمساواة الاجتماعية والاقتصادية، وإلى ضرورة تحديد سلطات الشركات العملاقة العابرة للحدود.

المراجع

- أحمد الأهواني، جون ديوي، الطبعة الأولى، القاهرة: دار المعارف، 1959.

- إمام عبد الفتاح إمام، فلسفة الأخلاق، الطبعة الأولى، جمهورية مضر العربية: دار الثقافة، 1985.

- أميرة مطر، مقالات فلسفية حول القيم والحضارة، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1979.

- إميل برييه، اتجاهات الفلسفة المعاصرة، ترجمة محمود قاسم، جمهورية مصر العربية: دار الكشاف، 1998.

- إميل برييه، تاريخ الفلسفة؛ ترجمة جورج طرابيشي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الطليعة، 1982.

- أيّوب أبو ديّة، علماء النهضة الأوروبية، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفارابي، 2011.

- أيّوب أبو ديّة، فلسفة التكنولوجيا، الطبعة الأولى، عمّان- الأردن: دار الآن ناشرون وموزعون، 2021.

- أيّوب أبو ديّة، موسوعة ملخصات أمّهات تراثنا في الانسانيات، الطبعة الأولى، عمّان- الأردن: وزارة الثقافة الأردنية، 2021.

- برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، في عدة أجزاء؛ ترجمة محمد فتحي الشنطي، جمهورية مصر العربية: الدار المصرية العامة للكتاب، 1977.

- توفيق الطويل، العرب والعلم في عصر الإسلام الذهبي، الطبعة الأولى: القاهرة: دار النهضة العربية، 1968.

- جان إدوارد سبنله، الفكر الألماني: من لوثر إلى نيتشه؛ ترجمة تيسير شيخ، دمشق: وزارة الثقافة السورية، 1968.

- جان بول سارتر، الوجودية فلسفة إنسانية؛ ترجمة حنا دميان، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1959.

- روجيه جارودي، ماركسية القرن العشرين؛ ترجمة نزيه الحكيم، الطبعة الثانية، بيروت: دار الآداب، 1968.

- روديجر بوبنر، الفلسفة الألمانية الحديثة؛ ترجمة فؤاد كامل، جمهورية مصر العربية: دار آفاق للنشر والتوزيع، 2019.

- ريجيس جوليفيه، المذاهب الوجودية، بيروت: دار الآداب، 1988.

- زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، جمهورية مصر العربية: دار مصر للطباعة، 1968.

- زكي نجيب محمود، ديفيد هيوم، جمهورية مصر العربية: دار المعارف، 1958.

- زكي نجيب محمود وأحمد أمين، قصة الفلسفة الحديثة، الطبعة السادسة، جمهورية مصر العربية: مكتبة النهضة المصرية، 1983.

- صادق جلال العظم، دفاعاً عن المادية والتاريخ، بيروت: دار الفكر العربي، 1990.

- صادق جلال العظم، دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة، الطبعة الأولى، بغداد: مكتبة بغداد، 2012.

- صلاح قنصوه، فلسفة العلم، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1982.

- عبد الرحمن بدوي، شوبنهور، جمهورية مصر العربية: دار النهضة العربية، 1965.

- عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984.

- عزمي إسلام، اتجاهات فلسفية معاصرة، الطبعة الأولى، الكويت: وكالة المطبوعات، بلا تاريخ.

- عزمي إسلام، لدفيج فتجنشتين، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، جمهورية مصر العربية: دار المعارف، بلا تاريخ.

- علي عبد المعطي، تيارات فلسفية حديثة، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1984.

- غازي فيصل حسين، تاريخ الفكر السياسي الحديث، الطبعة الأولى، عمّان- الأردن: دار الراية، 2017.

- فرانسوا شاتليه، هيجل، دمشق: منشورات وزارة الثقافة السورية، 1970.

- فردرك كوبلستون، تاريخ الفلسفة؛ المجلد الرابع: الفلسفة الحديثة؛ ترجمة محمود سيد أحمد وسعيد توفيق، ، الطبعة الأولى، جمهورية مصر العربية: المركز القومي للترجمة، 2013.

- فريال حسن خليفة، نقد فلسفة هيجل، بيروت: دار التنوير، 2006.

- فؤاد زكريا، سبينوزا، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، 2018.

- ماهر عبد القادر، مشكلات الفلسفة، بيروت: دار النهضة العربية، 1985.

- محمّد الشنيطي، وليم جيمس، القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة،

.1957

- محمّد علي أبو ريان، الفلسفة الحديثة، المملكة الأردنية الهاشمية، دار الكتب الجامعية، 2008.

- محمّد محمّد مدين، فلسفة هيوم، بيروت: دار التنوير، 2009.

- محمود زيدان، نظرية المعرفة، الطبعة الأولى، بيروت: دار النهضة العربية، 1989.

- محمود زيدان، كانط وفلسفته النظرية، جمهورية مصر العربية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2016.

- نهلة الجمزاوي، فلسفة الأخلاق، الطبعة الأولى، عمّان- الأردن: وزارة الثقافة الأردنية، 2021.

- وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية؛ ترجمة مجاهد عبد المنعم، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2005.

- يحيى هويدي، دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، عمّان- الأردن: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2006.

- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، القاهرة: دار المعارف، 1963.

Telegram:@mbooks90